

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة د. طاهر مولاي - سعيدة



كلية الآداب واللغات والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها



مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس

تخصص: دراسات نقدية

بـعـنـوان:

أبعاد الرمز عند مفدي زكرياء -إلياذة الجزائر نموذجاً-

* بإشراف الدكتور:

- بلهادي حسين

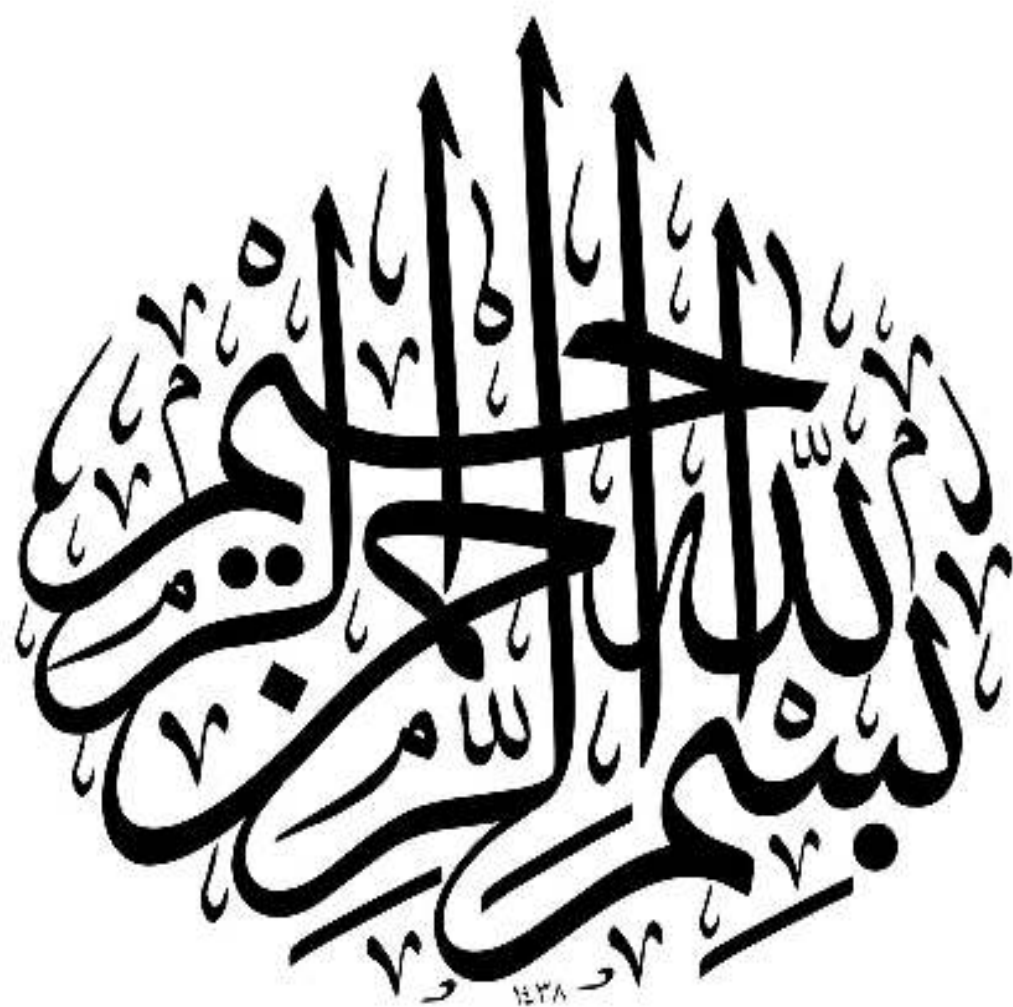
* من إعداد الطالبتين:

- بن يوسف ندى

- بوسيف رقية

السنة الجامعية:

2020/2019



فَرَحَ الْإِيْمَانُ مِنْكُمْ
وَلَذِي رَأَوْا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ

تشكرات

"فَتَبَسَّمْ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ". سورة النمل، الآية: 19.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لم يشكر الناس، لم يشكر الله".

فالحمد لله مصلياً على محمد وآله ومن تلاه، فالحمد لله ممتنين برضاك، ونحن ساجدون أشكرك شكر المتواضعين داعين منك أن تقبل هذا العمل الذي أرجو أن ينعم به طالبي العلم وأن ينال به الأجر والثواب.

فتحية تقدير وشكر وعرفان بالجميل إلى الأستاذ المشرف "بلهادي حسين"، الذي كان عوناً وخير سند بتوجيهاته ونصائحه القيمة التي قدمها لنا طيلة فترة إشرافه علينا .
كما تتقدم بالشكر الخالص إلى كل الأساتذة الذين نهلنا منهم مبادئ العلم والمعرفة، وساهموا في تأطيرنا وتزويدنا بالعلم طيلة السنين، وإلى كل هؤلاء فائق التقدير والاحترام.



إهداء

"وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ" سورة المؤمنون .

خالقي ومولاي لا يطيب الليل إلا بشكرك، ولا يطيب النهار إلا بطاعتك، ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك.

إلى من كلله الله بالهبة والوقار، ومن أحمل اسمه بكل افتخار، إلى أبي الغالي أطال الله في عمره، السيد المدير: بن يوسف الشيخ .

إذا كانت الشجرة تهدي الثمرة والعين الدمعة والقلب محبة فإنني أهدي ثمرة هذا العمل، إلى أخف كلمة على اللسان وأثقلها في الميزان، إلى نبع الحنان، ومرسى الأمان "أمي"، السيدة المعلمة: راجع عائشة .

إلى من كانتا سندي ومرشدي في الحياة إلى من رافقاني في كل خطوة من خطوات هذا البحث شقيقتاي: منال، إسراء .

إلى رياحين قلبي ونور دربي "إخوتي": محمد رياض، ربيع، ريان ضياء الدين .

إلى من عشت معها أجمل اللحظات في السراء والضراء، وتميزت بالوفاء، ومن كانت معي في طريقي إلى النجاح صديقتي الغالية: بوسيف رقية .

إلى كل من تطلعوا إلى نجاحي بنظرة أمل، إلى من عرفت كيف أجدهم وعلموني ألا أضيعهم، صديقتاي دون استثناء .

ندى



إهداء

كلمات بالأشواق محملة، وبأريج الزهور مطيبة، وبمداد الحبر مسجلة، وبلغه القرآن مدونة، أبعثها مع النسمة العلية، والروح الطاهرة الزكية، أرسلها إلى خير الأنام، إلى كل من ضحى بكل ما لديه لرفع راية الإسلام، إلى سيد المرسلين عليه أفضل وأزكى السلام.

- إلى من أروضتني الحب والحنان، إلى رمز الحب وبلسم الشفاء، إلى من دعاؤها سر نجاحي إلى أعلى الحباب "أمي: ربيحة".

- إلى من كلت أنامله ليقدم لنا لحظة السعادة، إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم، إلى القلب الكبير "أبي: أحمد".

- إلى إخواني وأخواتي: "عثمان، حسين، عمر، نجاة، سعاد، قدسية".

- إلى أبناء إخواني وإلى كل العائلة الكريمة حفظها الله من كل شر وإلى الذين أحببتهم وأحبوني، أصدقائي من بعيد أو من قريب، وإلى صديقتي ومن شاركتني في إنجاز هذا العمل: "بن يوسف ندى".

- إلى من أرشدنا وساعدنا في إتمام هذا العمل الأخ: "بلمبروك نوح".

- إلى كل من أحبهم قلبي ونسيهم قلبي، أهديهم هذا العمل.

رقية



مقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد الهادي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد؛

تعرضت الساحة الأدبية في الوطن العربي لهزات سياسية واجتماعية، واقتصادية وثقافية عنيفة، زعزعت الموروث الأدبي لدى المثقف العربي، مما جعله أرضاً خصبة للتيارات الوافدة من وراء الحدود كالمذهب الرمزي الذي وجد مجالاً رحباً، كونه أدباً جديداً يتسم بالغموض، وهو ما يتفق مع الشعر العربي الحديث والمعاصر الذي اتخذ من الرمزية منفذاً للتعبير عن الواقع المهزوم بأسلوب الإيحاء والإشارة، ولأنَّ الإنسان ميَّال بطبيعته إلى الغموض والإبهام، وذلك لمنح نصوصه آفاق بعيدة ومساحات واسعة.

إنَّ التحولات الثقافية والاجتماعية والسياسية التي شهدتها المجتمع العربي في بداية هذا العصر وجد الشاعر نفسه ملزماً بأن يثري أعماله الإبداعية بطاقات تعبيرية وأشكال فنية، لذا فقد اتجه عدد من الشعراء إلى الاستعانة بالرمز، وذلك باستعمال كلمات خاصة أو أنغام للإيحاء بأفكارهم وعواطفهم فراراً من الكشف المباشر عن معاناتهم، فكان الرمز بذلك وسيلة إيحائية من أبرز وسائل التصوير الشعرية التي ابتدعها الشاعر المعاصر عبر سعيه الدائم وراء اكتشاف وسائل تعبيرية لغوية جديدة، لكي يثري بها نصوصه الشعرية ويجعلها نصوصاً موحية رمزية، إذ يكتسب الدال في كل قصيدة مدلولاً جديداً، ولا يكتفٍ بمدلول واحد محدد، فهو ينقل القارئ من المستوى المباشر إلى معاني ودلالات خفية تكمن وراء الكلمات، كما يقوم باستكمال ما تعجز الكلمات العادية عن تبيانها، وهو من الظواهر الفنية البارزة في الشعر العربي الحديث بصفة عامة، وفي الشعر الجزائري بصفة خاصة عند الشعراء المعاصرين من بينهم مفدي زكرياء الذي كانت أشعاره مرصعة برموز ساهمت في تكوين تجربته الشعرية وإثرائها.

أما عن دواعي اختياري لموضوع توظيف الرمز عند مفدي زكرياء فكانت كما يلي:

- ثراء شعر مفدي زكرياء وغناه برموز حتى أصبحت ظاهرة بارزة في كل قصائده، ومنهجاً متبعاً في كتاباته الشعرية المعاصرة.

- قلة الدراسات التي تناولت شعر مفدي زكرياء.

- قيمة الشاعر مفدي زكرياء في الساحة الأدبية والفكرية.

ومن هذا المنظور، وبناءً على هذا الأساس وسنما بحثنا بـ: توظيف الرمز في شعر مفدي زكرياء (إلياذة الجزائر نموذجاً) والذي يطرح عدة تساؤلات منها:

- ما مفهوم الرمز وما هي أنواعه وخصائصه؟.
- كيف تجلت دلالة الرمز في شعر مفدي زكرياء؟.

وللإجابة عن هذه التساؤلات قمنا بتقسيم هذا البحث حسب الخطة التالية:

فصل نظري تطرقنا فيه للحدث عن الرمز، مفهومه، أنواعه وخصائصه، كما تطرقنا فيه أيضاً إلى نشأته وبلاغته، أما الفصل الثاني وهو الجزء التطبيقي فكان بعنوان: توظيف الرمز عند مفدي زكرياء، ثم خاتمة سلطنا الضوء فيها على النتائج المتوصل إليها خلال بحثنا.

وأما عن أهم المؤلفات التي اعتمدنا عليها في إنجاز هذا البحث، كتاب الرمز والرمزية في الشعر المعاصر لمحمد فتوح أحمد. كما اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي في الفصل الأول حيث تناولنا ظاهرة الرمز في الشعر العربي المعاصر، والمنهج التأويلي في الفصل الثاني من خلال تصنيف الرموز تجزئتها، كما ارتكزنا على التحليل والتفسير والتدقيق في الجوانب الرمزية التي توحى بها أبيات الشاعر وقصائده.

الفصل الأول: ماهية الرمز

المبحث الأول: التعريف بمصطلح الرمز لغة واصطلاحاً

1- المدلول الاشتقاقي للرمز

2- ماهية الرمز

أ- الرمز لغة

ب- الرمز اصطلاحاً

المبحث الثاني: نشأة الرمز

أ- في الأدب الغربي

ب- في الأدب العربي القديم

المبحث الثالث: خصائص الرمز وبلاغته

1- الغموض

2- الموسيقى

3- الإيحاء

4- تراسل الحواس

5- بلاغة الرمز

المبحث الرابع: أنواع الرمز

1- الرمز الأسطوري

2- الرمز الديني

3- الرمز التاريخي

4- الرمز الطبيعي

5- الرمز التراثي

تمهيد:

الشعر عالم يكتنفه الغموض لا يبوح بأسراره الدفينة، فليس معجزاً أن يستخدم الشاعر مجموعة من الرموز في شعره، وعليه فقد تجلت المصطلحات النقدية في الساحة الأدبية، لتكشف الستار عن مضامين القضايا الحساسة فراح النقد يعالج التناسخ والانزياح والإيحاء والاستعارة، والصورة وغيرها من الآليات الفنية في البناء الظاهر والباطن للقصيدة العربية، ويبقى الرمز من بين الآليات التي نالت حظاً وافراً من الوقفات الفنية والجمالية، التي تعمل على اكتشاف تطلعات النص الشعري المعاصر وما بات يخترن بداخله رونقاً وجمالاً.

إنَّ إحساس الشاعر المعاصر بصعوبة المعرفة، غير المباشرة جعله دائم التفكير في العثور على وسائل لغوية وفنية تمكن من تعرية ما خفي في الذات والوجود في آنٍ واحد.

المبحث الأول: التعريف بمصطلح الرمز لغة واصطلاحاً

1- المدلول الاشتقاقي للرمز: Symbol

يعود أصل مادة الكلمة في اللغة اليونانية: **symbolein** التي تعني الحرز والتقدير وهي مؤلفة من "Sun" بمعنى "مع" و **Bolein** بمعنى "حرز" ولهذه الكلمة **symbole** أو الرمز تاريخها الطويل في علم اللاهوت "theology" إذ تترادف كلمة **symbole** مع كلمة **creed** التي تعني دستور الإيمان المسيحي كما أنها تستعمل من القديم في الشعائر الدينية والفنون الجميلة عموماً، والشعر بخاصة وما نزال حتى اليوم ذات قيمة إشارية في المنطلق والرياضة وعلم الدلالة اللغوية.

والعنصر المشترك بين كل هذه الاستعمالات هو: "شيء ما يعني آخر".

ولكن الفعل الإفريقي من تلك الكلمة **symbole** يوحي أن فكرة التشابه في الإشارة وما تشير إليه عنصر أصيل في بناء الرمز ويبدو مناسباً فيما يتعلق بنظرية الأدب أن تستخدم الكلمة بهذا الاعتبار، بحيث تعني شيء ما يشير إلى شيء آخر مع عدم إغفال مستوى الدلالة الحقيقية فيه.

ويرى ويبستر **Webster** الرمز أنه: "ما يعني أو يومئ إلى شيء عن طريق علاقة بينهما كمجرد الاقتراح أو الاصطلاح أو التشابه العارض **accidental** غير المقصودة"¹. فالرمز يقوم على التوافق بين المادة المحسوسة والفكرة المتخيلة ويلعب دور الخيال بقوته الغامضة، دور النقاد داخل نثرات الواقع والاتحاد بها بتجسيد وكشف بدرجة من التميز والمباشرة.

فهم بودلير الرمز "باعتباره شيئاً واقعياً أو تجربة حية ذات قيمة روحية أو جمالية غير ملتفت إلى الشكل اللغوي الذي يتخذه هذا الرمز في الصياغة الشعرية"².

¹ - ينظر: محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1977، صص34،35.

² - ينظر: عبد الحميد بوزوينة، نظرية الأدب في ضوء الإسلام، القسم الثالث، الأدب والمذاهب الأدبية، دار البشير، عمان، ط1، 1990، م، ص306.

فالشاعر من خلال الرمز يطلق طاقته الإيجابية ذات الخواص الفنية الجمالية في مخيلة المتلقي حيث أن وراء البناء الرمزي عالماً آخر يختبئ.

الرمز هو ما يظهر ويبيّن شيء من خلال علاقة موجودة بينهما ومحددة، فالرمز هو محاولة من الأديب للإفصاح عن العواطف المكبوتة في أعماق النفس البشرية وإيماء صورة من العقل الباطن إلى قارئه مستعيناً بجرس الألفاظ وإيقاع الوزن وتراكيب الجمل ومعانيها الدقيقة.

فالشاعر الرمزي يثور على اللغة العادية المألوفة مستبدلاً إياها باللغة العربية الفنية التي تجول في أرجاء عالم فسيح، هو عالم النفس والمشاعر.

كان الرمز محل اهتمام الدارسين إذ بحثوا في أصله وسبل توظيفه، إذ أصبح بعدها من وسائل التعبير التي التفت إليها الشعراء.

2- ماهية الرمز:

أ- الرمز لغة: إن الرمز باتفاق جل المعاجم وحتى في معظم الدلالات الاشتقاقية يحمل معنى إيجابياً كالعظمة والنموذج والأصل والعقل.

ورد في لسان العرب في مادة "رمز" أن "الرمز معناه تصويت خفي باللسان كالهمس ويكون في تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت وإنما هو إشارة بالشفيتين وقيل الرمز إشارة وإيحاء بالعينين والحاجبين والشفيتين والفم"¹، وجاء في معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة أن الرمز:

1- مصطلح متعدد السمات، غير مستقر، بحيث يستحيل رسم كل ما فارق معناه.

2- علامة تحيل إلى الموضوع وتسجله طبقاً لقانون ما.

3- والرمز وسيط تجريدي للإشارة إلى عالم الأشياء.²

كما جاء في المعجم الأدبي أن الرمز هو: "كل إشارة أو علامة محسوسة تذكر بشيء غير حاضر من ذلك العلم رمز الوطن، الكلب هو رمز الوفاء، الحمامة البيضاء رمز للمسيحية، الأرز هو رمز لبنان..."¹.

¹ - جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار الصادر، بيروت، لبنان، ط3، 1997، ص119.

² - سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985، صص102، 101.

أمّا الأزهري في كتاب التهذيب فيعرف الرمز "بالحركة والتحريك (...)" كما يقال للجارية الغمازة بعينها رمازة، أي ترمز بفمها وتغمز بعينها"².

فالرمز بهذا المفهوم الهمس بالصوت والغمز بالحاجب والإشارة بالشفة، ويكون هو سبيل التعبير عن تلك الإشارات.

وفي القرآن الكريم ورد ذكر الرمز بمعنى الإشارة في قوله تعالى: " قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً ۖ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ۖ وَادَّكُرَ رَبُّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (41) " {آل عمران}، فقد شرح الأستاذ محمد الحمصي لفظ الرمز هنا بمعنى أن تعجز عن تكليمهم بغير علة فلا تتفاهم معهم إلا بالإيماء والإشارة³.

كما ورد هذا اللفظ أيضاً في الشعر العربي القديم بالدلالة نفسها يقول الشاعر:

رمزت إلي مخافة بعلها من غير أن تبدي هناك كلاماً

وقد أورد السكاكي هذا البيت ليوضح أن "الرمز هو ما يشار به إلى قريب منك على سبيل الخفية"⁴.

ولقد ورد تعريف الرمز لغة في كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي "رمز: الرمازة من أسماء الدبر والفعل رمز يرمز، أي ينظم، والرمز باللسان: الصوت الخفي ويكون "الرمز" الإيماء بالحاجب بلا كلام ومثله الهمس ويقال للرجل الوقيد ارتمز وقد يقال للجارية الغمازة الهمازة بعينها واللمازة بفمها رمازة ترمز بفمها وتغمز بعينها ويقال الرمز تحريك الشفتين"⁵.

1 - جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1973، ص183.

2 - أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، مادة رمز، تح: أحمد عبد الحليم البردوني.

3 - ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، تح: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط2، 1999، ج2، ص39.

4 - جلال الدين أبو عبد الله القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص217.

5 - الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170 هـ)، كتاب العين، ج2، تح: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2003، ص227.

يعدّ الرمز وسيلة إيحائية من أبرز وسائل التعبير الشعرية التي ابتدعها الشاعر المعاصر عبر سعيه الدائب وراء اكتشاف وسائل تعبيرية لغوية يثري بها لغته الشعرية ويجعلها قادرة على الإيحاء بما يستعصي على التحديد والوصف من مشاعره وأحاسيسه وأبعاد رؤيته الشعرية المختلفة؛ الرمز إذن اكتشاف شعري حديث على الرغم من أن مصطلح الرمز ذاته بمعنى التوحيد بين حدين أو طرفين.

فـ"الرمز عبارة عن إشارة حسية "مجازية" لشيء لا يقع تحت الحواس أي الرمز ببساطة يستلزم مستويين: مستوى الأشياء الحسية التي تأخذ قالباً للرمز ومستوى الحالات المعنوية المرموز إليها، وحين يندمج المستويان نحصل على الرمز"¹.

الرمز هو محاولة تقديم حقيقة مجردة أو شعور أو فكرة غير مدركة بالحواس في هيئة صور وأشكال محسوسة.

ب- الرمز اصطلاحاً:

إنّ مصطلح الرمز كغيره من المصطلحات الأدبية الشعرية النظرية نادراً ما تجد له تعريفاً واحداً، إذ نجد "أن الرمز هو علامة تعتبر ممثلة لشيء آخر ودالة عليه ففي معناه هو ما أخفي من الكلام إذ يستعمل المتكلم الرمز إذا أراد إخفاء أمر ما عن كافة الناس، فيضع للكلمة التي يريد إخفاءها اسماً من أسماء الحيوان أو الطيور أو وسائل الأشياء"².

ولم يعرف الرمز معناه الاصطلاحي إلا في العصر العباسي مثلما ذكر درويش الجندي، فقد اقترن عند قدامة بن جعفر بالإيجاز فيما هو أساس يخاطب به الذين يكتفون من الكلام بالتلميح والإشارة.

فـ"الرمز مثير بدليل يستدعي الإجابة نفسها التي قد يستدعيها آخر عند حضوره، وعرف على أنه شيء حسي يعد إشارة إلى شيء معنوي لا يقع تحت الحواس، وهذا الاعتبار قائم على وجود مشابهة بين شيئين أحست بهما مخيلة الرامز"³.

¹ - علي عشيري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ط4، 2002، ص82.

² - أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 2011، ص24.

³ - أمينة بلهاشمي، الرمز في الأدب الجزائري الحديث، رمز الكراهية عند بعض الشعراء الجزائريين المحدثين، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، جامعة تلمسان، 2010-2011، ص30.

وقد ذهب يونغ إلى اعتبار أن "الرمز هو الوسيلة الوحيدة المسيرة للإنسان في التعبير عن واقع انفعالي شديد التعقيد، فتتخذ الرموز وسيلة لولوج القلب البشري"¹.

والرمز هو الإشارة إلى شيء معنوي، وهو كذلك علاقة قائمة على المشابهة بين اثنين، والرمز سمة من سمات الخطاب الشعري المعاصر لهذا فإن الشعراء المعاصرين عمدوا إلى هذا النوع من الممارسة الفنية الذي يعتبر نوعاً من الاستجابة أو التأكيد على انحراف مسالك الكتابة المعاصرة في محاولة لإثبات شعريتها وتجنب السقوط في البلاغة الكلاسيكية بوصفها العنصر الجمالي في تشكيل الخطاب الشعري القديم"².

ونجد عز الدين إسماعيل بدوره يعرف الرمز قائلاً: "الرمز اللغوي نفسه رمزاً اصطلاحياً تشير فيه الكلمة إلى موضوع معين إشارة مباشرة كما تشير الكلمة إلى الشيء الذي أشير إليه بهذه الكلمة ولكن دون أن تكون هناك علاقة حيوية"، علاقة تداخل وامتزاج التي تكون بين الرمز الشعري وموضعه بين الرمز والمرموز إليه"³.

ذلك أن الرمز يقوم أساساً على إخراج اللغة من وظيفتها الأولى للتواصل وإدخالها في الوظيفة الإيحائية، هذا ما أشار إليه غنيمي هلال في تعريفه للرمز: "الرمز هنا إيحاء أي التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستمرة التي لا تقوم على أدائها اللغة في دلالتها، فالرمز هو الصلة بين الذات والأشياء بحيث تتولد المشاعر عن طريق الإشارة النفسية لا عن طريق التسمية والتصريح"⁴.

فالرمز ترجمة ذاتية لقريحة الإنسان وما تحتزنه النفس، الغائرة فتعبر عن ذلك بالإيحاء لأن اللغة البسيطة غير قادرة على إتمام الفكرة.

¹ - ينظر: جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار الملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1979، ط2، كانون الثاني، يناير، 1984، ص124.

² - ينظر: حليلة واقوش، بنية الخطاب الشعري عند يوسف وغليسي، رسالة ماجستير (نسخة pdf)، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 2012-2013، ص153.

³ - عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1966، ص191.

⁴ - محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، ط3، ص298.

والرمز "لحظة انتقالية من الواقع إلى صورته المجردة وهي الإطار الفني الذي يتم فيه الخروج من الانفعال المباشر إلى محاولة عقلنته، وهي تصميم للانفعال في قالب فني جمالي"¹. ويقول الدكتور مصطفى ناصف في تعريفه للرمز: "إن كلمة الرمز قد تستعمل للدلالة على "المثال" كأن يعبر فرد عن طبقة ينتمي إليها، وقد يراد بها إنابه القليل عن الكثير أو الجزء عن الكل، فالكلمة تختلط آناء بمعنى الإشارة التي يحال فيها على شيء محدد، ومن ثم يتبادر إلى الذهن أن الرمز ما ينوب ويوحى بشيء آخر لعلاقة بينهما من قرابة أو اقتران أو مشابهة"².

ويعتبر الرمز من المصطلحات التي حظيت باهتمام كبير لتشعب المجالات التي يعمل فيها، فهو يظهر كمصطلح في المنطق، في الرياضيات، وفي نظرية المعرفة في علم الدلالات وعلم الإشارات، كما أن له أيضاً تاريخ طويل في عوالم اللاهوت (الرمز) أحد مرادفات العقيدة والطقوس والفنون الجميلة والشعر.

فكلمة رمز جاءت من اللغة اليونانية وكان لها تاريخ طويل معقد ودليل ذلك ما فيه من اتساع مما يجعل وصف ملحمة كافة أمر تكتنفه صعوبة كبيرة.

تحدثت الفلسفة قديماً وحديثاً عن الرمز منطلقاً في تحديد ما له من المرتكزات التي تقوم عليها، ونظراً لتشعب المذاهب الفلسفية تباينت دلالة الرمز من فيلسوف لآخر، فأرسطو قسم الرمز إلى ثلاث مستويات رئيسية: الرمز النظري أو المنطقي *theoreticalsymbole* وهو الذي يتجه بواسطة العلاقة الرمزية إلى المعرفة.

والرمز العلمي *practicalsymbole* وهو الذي يعني الفعل والرمز الشعري أو الجمالي *poeticalaetheticsymbole* والذي يعني حالة باطنية معقدة من أحوال النفس"³.

¹ - إبراهيم رماني، أوراق في النقد الأدبي، دار الشهاب، باتنة، ط1 1985، ص167.

² - مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 1983، ص152.

³ - عاطف جودة نصر، الرمز الشعري عند الصوفية، دار الأندلس، بيروت، ط1، 1978، ص19.

ويفترض أرسطو أن هذه الحدود تدل على وجود واقع محسوس لما يندرج تحتها من أفراد، وهذا راجع إلى المنطق الذي لا يعدو أن يكون تصنيفاً رمزياً للمعرفة الصورية الخالصة، والرمز الأخلاقي والعلمي يعنى بالمبادئ والقواعد التي تهتم بالسلوك. رأى جوتيه أن "الرمز أداة تستهل من الطبيعة للتعبير عن مشاعر ذاتية، فهو يستعمل الرمز وغايته أن يتمتع حاسته الفنية ويشبع غريزته الجمالية مع التعبير في الوقت نفسه عن تجاربه الروحية الخالصة"¹.

تتوافق هذه الرؤيا إلى حد ما مع رؤية دارسي الأدب المقارن الذين يرون أن العالم الخارجي في النص الإبداعي ليس موضوعاً يتناوله الشاعر تناولاً مجرداً دون التلميح إلى دلالاته المختلفة التي تتفق مع رؤية الشاعر، فثمة تداخل بين الذات والموضوع، أما موريه فيحدد الرمز بقوله: "هو شيء محسوس يختار للدلالة على إحدى صفاته المسيطرة كالمياه فهي رمز الانقياد والليونة والشفافية والتطهير"².

ويلخص صاحب معجم مصطلحات الأدب محاولاً تحديد الرمز في شملية محكمة وبليغة، "الرمز هو كل ما يحل محل شيء في الدلالة عليه لا بطريق المطابقة التامة وإنما بالإيحاء أو بوجود علاقة عرضية أو متعارف عليها وعادة يكون الرمز بهذا المعنى شيئاً ملموساً يحل محل المجرد كرموز الرياضة مثلاً التي تشير إلى أعداد ذهنية، وقد اتفق علماء اللغة المحدثون على التمييز بين الرمز والإشارة، فالرمز عندهم يتميز بصلاحيته للاستعمال في أغراض مختلفة أو تقوم العوامل النفسية بلا شك بدور مهم في تحديد دلالاته"³.

يعدّ الرمز في الشعر الحديث تلك الظاهرة التي استولت على ثايات القصيدة العربية الحديثة، فقد حرس الشعراء على أن يكون في أشعارهم هذا الشعر، فهو "شعر يوظفه كل شاعر بطريقته الخاصة حين يعبر عن العالم الخارجي، أي من خلال المادة ولكنها ليست المادة

¹ - درويش الجندي، الرمزية في الأدب العربي الحديث، مكتبة النهضة العربية، ط1، القاهرة، مصر، 1958، ص85.

² - صبحي البستاني، الصورة الشعرية الفنية، الأصول والفروع، دار الفكر اللبناني للكتاب، لبنان، ط1986، ص182.

³ - أحمد ديب شعبو، في نقد الفكر الأسطوري الرمز، أساطير ورموز وفولكلور في الفكر اللبناني، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1، 2006، ص47.

الحسية والعقلية والعلمية، وإنما هي المادة الروحانية إن جاز التعبير ينبغي أن يكون الفنان قد استنبطها وولج إلى أحشائها وأقام في قلبها بعد أن فض غلافها الخارجي الزائف"¹.

تنبثق قيمة الرمز من داخله وليس من خارجه ذلك أن لغة الشعر هي لغة الإشارة في حين أن اللغة العادية هي لغة الإيضاح، فالشعر هو بمعنى ما جعل اللغة تقول ما لم تتعلم أن تقوله.

تحدث تودوروف وبيرس ورولان بارت وغريماس وغيرهم عن الرمز، أما تودوروف فقد منح الرمز مدلولاً شاملاً يتضمن كل أشكال المجاز بحيث يكون للكلمة مدلولاً آخر غير معناها المعجمي، أما بيرس فيعرف الرمز بأنه: "علامة تشير إلى الموضوع الذي تعبر عنه غالباً ما يقترن بالأفكار العامة التي تدفع إلى ربط الرمز بموضوعه، فالرمز إذن نمط أو عرف، أي أنه العلامة العرفية ... وهو ليس عاماً في ذاته وحسب وإنما الموضوع الذي يشير إليه يتميز بطبيعة عامة يدرج بارت كلمة رمز ضمن سلسلة من المصطلحات المتقاربة والمتغايرة في آن واحد وهي العلامة أو القرينة والمجاز الصوري *Allégorie* ويؤكد على أن العنصر الذي تشترك فيه كل هذه المصطلحات إنما تحيل جميعاً بالضرورة على علاقة بين الطرفين"².

يرى كل من بيرس وغريماس أن الرمز ليس علامة فهو يتميز عنها بكونه يدخل في نظام المشاكلة لأنه يرتبط عادة بسياق اجتماعي ثقافي.

وقد عرف الرمز كوسيلة للتعرف على الأشياء وكدليل على شيء متفق عليه، ويذكر قاموس إكسفورد أن "الرمز عبارة عن شيء يقوم مقام شيء آخر أو بمثله أو يدل عليه لا بالمماثلة وإنما بالإيحاء السريع أو بالعلاقة العرفية من ذلك الحرق المكتوب أو الرسالة البريدية والشكل والعلامة المتفق عليها وفي اللغة الفرنسية تحيل على الرموز الرياضية والمنطقية والكيميائية وسائل تواصل إلى شيء قابل لأن يعرف"³.

¹ - إيليا الخاوي، الرمزية والسريالية في الشعر الغربي والعربي، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1983، ص2.

² - أدونيس علي أحمد سعيد، مقدمة في الشعر العربي، دار العودة، بيروت، لبنان، ط3، 1971، صص125، 126.

³ - عبد الهادي عبد الرحمان، لغة الترميز، دراسات في الرموز واللغة والأسطورة، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص15.

المبحث الثاني: نشأة الرمز

أ- في الأدب الغربي:

كانت بداية المذهب الرمزي كما هو معروف في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وعلى وجه التحديد حين انبثق في فرنسا تيار مثالي التزعة "يستهدي في أصوله الجمالية بخلاصة ما وصلت إليه الفلسفة المثالية الألمانية خاصاً بالعمل الفني وعلاقته بالواقع"¹، فلقد كان العالم المثالي في نظر الرمزيين أكثر حقيقة من عالم الحس الذي آمن به البرناسيون.

وقامت الحركة الرمزية في وقت كانت فيه الحركة العلمية الوضعية هي السائدة، و"كانت هذه الحركة تخضع كل الموجودات للحس وللمنطق ولا تؤمن إلا بالظواهر المادية وكانت تعتقد أنه بإمكانها الوصول إلى حقائق الأشياء بوسائلها التجريبية وبالعقل الواعي"². "وقد نشأت الرمزية في القرن التاسع عشر كثورة على المذهب الواقعي الذي لم يلتفت إلى النفس الإنسانية وأسرارها التفتاتاً كافياً، وارتضى الحقائق المرئية ميداناً له، واحتذى بالاتجاه العلمي في التجربة والتحليل، مقتصرًا على إدراك الظواهر من سنن الكون والحياة"³.

ومن أشهر الأدباء الرمزيين "ستيفان ملارمي" الذي أرسى قواعد هذا المذهب ويعد "بودلير Baudelaire" الرائد الأول لهذا المذهب فقد صدر ديوانه "أزهار النثر" حيث نشره لأول مرة سنة 1857م، ويضم هذا الديوان قصيدته التي يعبر فيها عن التألف بين مختلف مظاهر الكون، أما "رامبو Rambo" فهو شاعر الرمز بين النثر، وهو الذي وضع نظرية السمع الملون الذي هو باب من أبواب نظرية العلاقات وتمكن "رامبو" بذلك أن يخلط بين الحواس المختلفة، فمزج الحس بالنظر والسمع، وحقق من ذلك اندماجاً وتفاعلاً أدبياً أدى إلى خلق جو شاعري باطني، وتفاعل نفسي يوحى بأحاسيس ما وراء الواقع الملموس، أما "فرلين

1 - أحمد محمد فتوح، الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، المرجع السابق نفسه، ص3.

2 - الزهرة بن عمر، الرمز في شعر عثمان لوصيف، مذكرة لاستكمال شهادة الماستر، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، 2015-2016، ص30، نقلاً عن: تسعديت آيت حمودي، أثر الرمزية الغربية في مسرح توفيق الحكيم، دار الحداثة، لبنان، د.ط، 1986، ص18.

3 - عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1972، ص251.

Verlaine" فقد كان أول الأمر من البرناسيين ثم ابتعد عنهم بتأثير من ديوان "أزهار النثر" ووضع كتاب "الفن الشعري" الذي يهاجم فيه البرناسية.

ولا ننكر أن الآداب الأوروبية عرفت أنواع كثيرة من التعبير غير المباشر حيث يعبرون عن أفكارهم بتمثيلها في شخصيات وهمية وغيرها .. إلا أن هذه الطريقة لم يكن هدفها الإيحاء الرمزي، إنما هي وسيلة وأداة يستعملها الكاتب لاستنباط مغزى خلقي أو تعليمي معين، وفي هذا النوع من التعبير يمكن للقارئ أن يفهم مدلول هذا الكلام، كما أن الكاتب في الأخير يختم عمله بتقرير مباشر يفسر ما قاله سابقاً بنوع من الغموض والإيحاء.

حيث نشر مورياس بيان الرمزية في صحيفة فيغارو في سبتمبر 1886 وهو أول بيان يعبر عن هذا المذهب وخصائصه حيث تعدد مفهوم الرمز فلخص مورياس هذه الخصائص في قوله: "إن الشعر الرمزي ضد الشرح والتسمية والعاطفة المصطنعة والوصف الموضوعي، وهو ما يحاول أن يلبس الفكرة المطلقة شكلاً محسوساً، شكلاً ليس غاية في ذاته ولكنه يستهدف التعبير عن الفكرة وفي الوقت نفسه يظل موضوعاً لها، كما أن الفكرة بدورها لا يمكن إدراكها دون سياق خال من التشبيهات الخارجية لأن السمة الجوهرية في الفن الرمزي تتضمن باستمرار صورة الفكرة بداخلها"¹، وهذا القول يعكس خصائص الأسلوب الرمزي الذي يميزه الاهتمام بالأفكار التي تشرح عمق الفكرة التي يريد الشاعر إيصالها للمتلقي.

وكان الشعراء الرمزيون يستلهمون أفكارهم من "فلسفة الحلق الذهبي عند "أدجار آلان يو" وعناصر التعبير الموسيقي كما في مؤلفات الموسيقار الألماني "فانجر".²

هذه العناصر التي حاول الرمزيون أن يحاكوها عندما أقرؤا بضعف المصادر اللغوية في التعبير عن مثل هذه الأفكار التي تعبر عنها الموسيقى.

"الرمزية بعثت في الشعر الألماني رعشة جديدة حين اعتبرته ضرباً من الإيحاء الباطني والعدوى العاطفية، وليس نقلاً للمشاعر والأفكار عن طريق الدلالة الوضعية المحدودة، حقاً لم

¹ - الزهرة بن عمر، الرمز في شعر عثمان لوصيف، مذكرة لاستكمال شهادة الماستر، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، 2015-2016، ص30، نقلاً عن: محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية، المرجع السابق نفسه، ص82.

² - المرجع نفسه، ص3.

يخترع الرمزيون وسائل الإيحاء في الصياغة والموسيقى الشعرية اختراعاً، فقد كان كثيراً سمنها متفرقاً منشوراً في آداب ما قلبهم بيد أنهم جمعوا هذه الوسائل وزادوا فيها وأمدوها بصيغة "مذهبية" وفلسفية كان لها أبلغ الأثر في هذه الآداب العالمية"¹.

والرمزية عند الغربيين لم تتوقف فقط في شعراء فرنسا وإنما تأثرت بها البلدان الغربية الأخرى، لكن كل بلد اتخذ طابعاً خاصاً به، لكننا لم نجد أثر الرمزية عند معظم شعرائهم، فمثلاً ما تجده عند الشاعر الألماني رينر ماريا ريكله "حين مزج آثار الرمزية بالتصوف.

"إن الرمزية رفعت من درجة الذاتية التي نص عليها الرومانسيون حتى جعلت الشعر تعبيراً عن أخص ما يتعلق بالشاعر ومعنى ذلك أنهما افترقا في طبيعة الموضوع الشعري فقد كان الرومانسيون يتحدثون عن الحب والرحيل والسياسة أي يصلون أنفسهم بالحياة، أما الرمزيون فقد توغلوا في تجربتهم داخل حقل الفن وحده وقصروا اهتمامهم على نواحي الفكر والخيال.

إن غاية الرمزية البلوغ بالشعر إلى حالته الأصفى، وكانت تشكل حركة هي جزء من العملية الشاملة في اكتشاف المعاني المخبئة المنطوية في النفس والتي تميز الفكر الحديث. فالرمزية مذهب أدبي فلسفي يعبر عن التجارب الأدبية والفلسفية المختلفة بواسطة الغموض أو الرمز أو الإيحاء.

ب- في الأدب العربي القديم:

لقد اختلفت آراء النقاد حول وجود ظاهرة الرمز في الشعر العربي من عدمه، حيث ذهب جميع النقاد ومنهم إيليا الحاوي "بأنه لم يكن مقدوراً للجاهلي والعربي بعامة أن يلم بهذه التجربة لأن مستواه الإبداعي والاحتميات التي خضعت لها نفسيته لم تكن لتيسر له الولوج في أعماق هذه التجربة"².

كما أن الإنسان العربي "كان واقعياً أكثر منه غيبي عكس الإنسان في بعض الأمم الأخير مثل الإغريق، لذا فإن افتقاد العربي الجاهلي للعنصر الغيبي الخارق ساقه نحو الواقعية، ولو

¹ - محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية، المرجع السابق نفسه، ص5.

² - جلال عبد الله خلف، الرمز في الشعر العربي المعاصر، مجلة ديالي، العدد: 52، 2011، ص5.

أنّ الشعر القديم أُلِّمَ بالأسطورة عبر عالمه¹، وهذا ما أشار إليه الباحثون "بأن الشعر العربي القديم كان أميل إلى الوضوح والواقع منه إلى الغموض والتجريد"².

في حين يرى آخرون بأنّ "العربي الجاهلي قد عرف الرمز وهذا ما نجده عند الكهان الذين يعتمدون على الإلهام والشك والتهويل وغيرها من الأمور التي تحدث تأثيراً على السامعين لأنّ لغة الكهان في الجاهلية كانت تعتمد على الرمز والإلهام والاستغراق والتعظيم والجلجلة والتهميل والإغراب حتى تتحقق الغاية المقصودة منها وهي التأثير في السامعين ... وهي أقرب إلى الرمزية اللغوية من حيث اعتمادها على الإلهام والغموض واهتمامها بالموسيقى التي تخلق جواً من الإيحاء وصوراً من الأحلام"³.

ولا يمكن تحليل ظاهرة الرمز في الشعر العربي إلّا إن ذكرنا مفهومه في الشعر العربي القديم غير أنّ هذا الأخير لم يعرف الرمزية بمفهومها الذي انتشر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وإنّما عرفوها بمعنى المجاز بأنواعه البيانية "المعرفية" كالتشبيه والاستعارة والكناية. ولم يعرف الرمز بمعناه الاصطلاحي إلّا مع العصر العباسي، حين خصص قدامة بن جعفر في نقد الشعر باباً للرمز ففسره لغوياً، وفي كتابه "نقد الشعر" نقل مفهوم الرمز من معناه الحسي اللغوي إلى مصطلح أدبي، لكن في الأساس الرمز في الشعر العربي القديم كان يختفي دائماً وراء المجاز في أشكاله المختلفة كالاستعارة التمثيلية والكناية والتشبيه، أمّا في الشعر العربي الحديث فقد ظهرت بوادره منذ بداية القرن العشرين حين نشرت مجلة "المقتطف" سنة 1928 قصيدة ذات اتجاه رمزي، وتعد قصيدة "نشيد الكون" للشاعر اللبناني "مظهر المعلوف" بداية هذا الاتجاه في لبنان وفي العالم العربي عامة، كما عرف في جميع الأجناس الأدبية والتيارات المختلفة فإنّ اللبنانيين هم السباقون لقطف ثمار الثقافات الأجنبية لاحتكاكهم بها.

1 - محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية، المرجع السابق نفسه، ص 65.

2 - المرجع نفسه، ص 65.

3 - المرجع نفسه، ص 66.

وكان شعر "مظهر" معقداً وبذلك أثري الشعر العربي الحديث بقصائد رمزية من نوع لم يعرف من قبل، "وكان هذا نتيجة "تعرفه على شعراء فرنسيين مثل: "بيير سامان" و "بودلير" كما اجتمعت عنده عدة عوامل جعلته يستجيب لذلك الشعر"¹. منها:

أولاً- كان الاستعداد الكبير عند بعض الشعراء اللبنانيين للتحويل بالحاسة الشعرية نحو مزيد من التعقيد.

ثانياً- كان الأديب "ماهر المعروف" شاعراً كبير الموهبة، فهو لم يكتف بالكتابة عن تجربة أصلية ذات طبيعة أعمق "إن كان يعامل الموت كتجربة مرغوبة بطريقة جد طريفة في شعره، فهو ليس الفعلي الذي يتناوله الشعر التقليدي بالحزن المألوف والحكمة التقليدية"².

إذ يقول:

فيا شبح الموت أطفئ غدي بمخلبك النائم الأسود

ويختلف مظهره كذلك عن الرمزيين اللاحقين أمثال "سعيد عقل" الذي كتب بأسلوب الرمزيين الفرنسيين من القرن التاسع عشر، إذ يبقى هذا الأديب أفضل من مثل الشعر العربي من خلال النظرية الرمزية الفرنسية، إذ يعتبر تأثير الشعر الفرنسي والنظرية الفرنسية في "سعيد عقل" واضح لا يحتاج إلى إشارة وقد فصل فيها أنطوان غطاس كرم في كتابه الرمزية في الشعر العربي الحديث "حيث برز سعيد عقل في الثلاثينيات، إلا أن أغلب محاضراته الأولى لم تنتشر، ولديه أيضاً تلخيص مهم للمحاضرات التي ألقاها عام 1937 بعنوان: "محاولات في جماليات الشعر، ومن خلال جميع هذه الكتابات يتضح التصاق "سعيد عقل" بمبدأ رمزي من فلسفة الجمال وفي المقابل كان هناك من يرى أن الشعر الرمزي العربي يتبرأ من الرمزية الغربية وذلك بقول "خليل

¹ - محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، نضضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط3، 2001، ص344.

² - بن مسعود فادية، الرمز في شعر كمال سقني، ديوان عزف على أوتار الشجا أنموذجاً، مذكرة لاستكمال شهادة الماستر، جامعة بجاية، 2015-2016، ص19، نقلاً عن: تسعديت آيت حمودي، أثر الرمزية الغربية في مسرح توفيق الحكيم، المرجع السابق نفسه، ص2.

الحاوي" في بيانه معنى الشعر الرمزي الحقيقي "والشعر الرمزي إذ كما أراه الشعر الواقعي المعمم الذي يعبر عن معاني لا تستنفذ بالشرح والتأويل"¹.

فهو ينبغي أن تكون له علاقة لشعره ورمزيته بالشعر الرمزي الفرنسي، إذ يعتبر أن شعر هؤلاء ما هو إلاّ تعبير ذاتي في كثير من الأحيان يبلغ حد الألغاز.

ومن خلال تعرف الشعراء العرب على الرمز كثر استخدامهم له، ومحاكاهم للأدب الغربي وكانت الأسباب الداعية لإقناعهم بهذا التيار الجديد هو الكبت السياسي والاجتماعي الذي عانتها البلدان العربية في ظل التواجد التركي والاستعمار الأوروبي.

ويعد جبران خليل جبران زعيم مدرسة المهجر الذي غلب الطابع الصوفي على أدبه من بين الرمزيين العرب الذين تأثروا تأثراً بالغاً بالرمزية الغربية وقد "تأثر أدبه وفنه التصويري "بوليم بلاك" الشاعر الرسام الذي كان ينحو في شعره منحى صوفياً رمزياً"².

وقد بدأت الرمزية تنتشر في العالم العربي بفضل جهود "جبران خليل جبران" ومدرسة المهجر بالإضافة إلى الأعمال التي قدمتها مدرسة أبولو وما ساعد على انتشار هذا المذهب هذه الدعوات العامة التي تدعو إلى التجديد بوجه عام ويقول درويش الجندي "أنّ الأدباء العرب الذين تأثروا بها من دون وعي وجدوا فيها الحرية المطلقة فأصبحوا من دون قيود تكبلهم.

¹ - آمنة بلعلي، الرمز الديني عند رواد الشعر العربي الحديث، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1998-1999، ص16.

² - آمنة بلعلي، الرمز الديني عند رواد الشعر العربي الحديث، المرجع السابق نفسه، ص19.

المبحث الثالث: خصائص الرمز وبلاغته:

يتميز الرمز في الشعر العربي المعاصر بالعديد من الخصائص التي جعلت منه أمراً هاماً وليس مجرد إشارة، فهذه السمات التي ميزته استمدتها من مجمل المفاهيم التي تعرضت له، وتبرز جل هذه الخصائص فيما يلي:

1- الغموض: اتصفت التجارب الرمزية بالغموض، والرمزيون لا يعدون الغموض أمراً طارئاً على الشعر بل إنه ملازم لطبيعته لأنَّ النفس غامضة والتجربة غامضة، فكيف يفسر عنها بالوضوح دون أن تندثر وتندحر.

"والغموض ليس الإبهام المعتمد، بل هو تلك العلاقة الشفافة التي تتراءى الأشياء من قبلتها، أو أنها مثل مياه الغدير عميقة وجلية"¹.

وهذا يعني أن الرمز يوجد في قالب خفي وعميق وغموض غير مقصود، لا نستطيع أن ندرك معناه إلاَّ عند التمعن والتفحص للدلالة المراد الوصول إليها، فالرمزيون الأوائل مارسوا الغموض ولكن دون مبالغة أو تعمد، فكانت أشعارهم تتراوح بين الوضوح والشفافية والغموض، لأنهم لم يخرجوا فجأة من الرومانسية أو البرناسية، بل احتفظوا ببعض ملامح المدرستين ولذا نجد بودلير وفيرلين أكثر وضوحاً من رامبو، والوضوح هنا يختلف عن المباشرة المرفوضة نهائياً، إنه يعني عدم تعقيد الفكرة وعدم الإغراب في الصورة، بحيث يصل المتلقي إلى المعنى بسهولة، أما الغموض ولا يقصد به هنا الإبهام فقد يأتي إما من التصرف بمفردات اللغة وتراكيبها بشكل غير مألوف أو من التعبير بمعطيات الحواس ومراسلاتها وتقاطعاتها.

يقول رينجر: "إنَّ الرمز هكذا يقف وحده أمام القارئ الذي يعطي القليل ولا يعطي أي إشارة إلى الشيء المرموز إليه"².

¹ - إيليا الحاوي، في النقد والأدب، ج5، الكاتب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1980، ص64.

² - تشارلز تشادويك، الرمزية، ترجمة: نسيم إبراهيم يوسف، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1991، ص39.

أي أنّ الرمز لا يظهر بشكل واضح وجلي أمام القارئ وإنما يظهر في صورة ضبابية أو في شكل مادة خام تستنبط منها دلالات متنوعة ومتعددة، ومن خلال هذه الدلالات يتضح لنا المعنى المتخفي وراء الرمز.

ويرى ابن الأثير في المثل السائر: "إنّ أفخر الشعر ما غمض فهو لا يعطيك إلاّ بعد ملاحظة"¹. أي إنّ الشعر لا يفهم لأول وهلة بل يحتاج إلى تفحص وتمعن وجيد الشعر ما يصعب فهمه وتحليله.

فالشعر الرمزي بالضرورة يكتنفه شيء من الغموض في تكوينه وتأسيسه"²، وعليه فالشاعر كلما نزع عن ذلك الغموض نزل إلى الأفكار والصور التعادلية والحقائق الجاثمة فإنّه يكون قد استسلم إلى وطأة النثر ونقل المادة وامتنع عن فعل الخلق ومعانقة روح الحالة في تجربته.

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أنّ للغموض أهمية بالغة في الإبداع الأدبي وخاصة الشعر، فكلما ابتعد المبدع عن الغموض وقع في فخ الجمود.

"الغموض لم يأت من الألفاظ فحسب وإن كان لها دور ضئيل جداً، ولكن الغموض يصدر من تناول المضامين وتعد هذه المآخذ من خلال السياق ومن تفرغ اللفظة من معناها الأول وإعطائها معنى جديد"³.

"إنّ الغموض الشعري خاصية في طبيعة "التفكير الشعري وليس خاصية في طبيعة التعبير الشعري"⁴.

2- الموسيقى: لقد اعتنى الرمزيون بالموسيقى واستفادوا من الطاقات الصوتية الكامنة في الحروف والكلمات مفردة ومركبة ومن التناغم الصوتي العام في مقاطع القصيدة، بحيث تصبح هذه الطاقة موظفة في التعبير عن الجو النفسي لدى المبدع ونقله إلى القارئ بما تحدّثه من الإيحاء

¹ - ابن الأثير، المثل السائر، ج4، تح: أحمد الصوفي، دار النهضة، مصر، القاهرة، د.ط، ص7.

² - تشارلز تشادويك، الرمزية، المرجع السابق نفسه، ص41.

³ - مسعد بن عيد العطوي، الغموض في الشعر العربي، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط2، 1420 هـ، ص81.

⁴ - محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1925-1975، ص641.

بالجو النفسي، فهي إذن تدخل في عضوية الفن لذلك تمرد الرمزيون على الأطر الموسيقية الشعرية في الأوزان والقوافي وتكوين المقطع والقصيدة ولم يحفلوا بالقواعد الكلاسيكية والرومانسية والبرناسية، وراحوا يبدعون موسيقاهم الشعرية الخاصة، وقد وصل بهم الأمر إلى الاستهانة بالقوافي وإلى تبني اللغة الشعرية الممسوقة داخلياً، وتجلى هذا النثر الشعري عند بودلير في قصائد نثرية قصيرة ورامبو في إشراقات. وكان الشاعر الرمزي غوستاف كاهن يرى أن الرمزية مذهب الحرية في الفن.

"والموسيقى سلم من الأصوات والأنغام، وتوصف بقيمة مثالية توحى بها اللغة الشعرية بحيث تتجلى فيما تحسه النفس خيالها من توافق وانسجام وهو جوهر الموسيقى وجانبها الأسمى، إذ هي الوسيلة النموذجية للتعبير، ليس في الشعر فقط بل وفيما عداه من الفنون، لأن الموسيقى هنا لا تعني سوى التعبير"¹. فالموسيقى مشروطة بمدى حساسيتها وقدرتها على نقل كل اهتزازات الحياة الباطنية ورعشتها الغامضة، فالموسيقى صورة نفسية قبل أن تكون نظاماً من الإيقاع والنغم، كما يقول ريلكه: "النظرة الأخيرة التي نلقيها نحن على أنفسنا ليست إلا أداة للتعبير".

"أما الموسيقى الإيحائية فهي وسيلة يعبر بها المبدع عن انفعالاته وهي في نفس الوقت وسيلة تأثير في المتلقي لما توحى به من مشاعر وأفكار للمبدع. سعت الرمزية إلى الإيحاء والإشارة من خلال استعمالها الإيحاء الصوتي في الكلمات"².

3- الإيحاء: "إن الرموز المستخدمة في نسق معين هي المادة التي منها يرسم هذا العالم، وتظهر صورته متلاثلة على البعد شيئاً فشيئاً أمام نظر الشاعر، وعلى القارئ أن يرى الصورة على البعد ويقرب إليها شيئاً فشيئاً، ويستشعرها حتى يعيش مشاعره كما ينبغي ويعيش معه في هذا العالم الذي خلقه"³.

¹ - محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، المرجع السابق نفسه، ص133.

² - جميل إبراهيم أحمد كلاب، الرمز في القضية الفلسطينية، القيسرية في الأرض المحتلة، 1967-1987، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2004-2005، ص22.

³ - تشارلز تشادويك، المرجع السابق نفسه، ص18.

أي استعمال وسائل فنية جديدة كالإيحاء والتلميح بدلاً من المباشرة والتصريح، وهنا يحين دور القارئ من أجل إنتاج قراءة جديدة للنص. فالشاعر له رسالة من خلالها يخلق في نفس القارئ الحالة التي مر بها أو تكون مساوية لها، وإذا لم يكن في إمكانه وقدرته التعبير عن الحالة والتجربة فهنا لا يوجد شيء أقل من الإيحاء إليه.

"الإيحاء هو أن يكون الرمز مفتوحاً على دلالات مختلفة ومتباينة في نفس الوقت، وهي عنوان للإبداع والجمال الفني للتجربة الرمزية من حيث الكثافة والعمق وتعدد القراءات والتأويلات"¹.

أي الرمز متعدد التأويلات وله دلالات متخلفة، فلكل فرد قراءته وتأويله الخاص وهذا ما يضيف على الرمز جمالية وأهمية في العملية الإبداعية.

"والإيحاء يمثل عنصراً أساسياً في الأدب الرمزي، يقول ملارمي: "إن تسمية الشيء هو حذف لثلاثة أرباعه لدى الشعر، وإنَّ السعادة تتحقق في أن نَحْنُ قليلاً، بأن تشير إلى شيء ما لتدل به على الحالة النفسية التي يهدف الرمزيون إلى التعبير عنها، بحيث يعجز العقل والتشبيه والمجاز عن ذلك، فإنَّهم ركزوا أساساً على قوة الإيحاء"².

واللغة الشعرية تغيرت وظيفتها فلم تعد لغة تعبيرية بسيطة، بل أصبحت لغة إيحائية ومحكمة في الوقت نفسه، إذ يتطلب الشعر مقدار من التأليف ومقدار من التعبير عن المعنى بدلاً من عرضه بصورة مبرقة، حرس الرمزيون على إيجاد نوع جديد يعتمد على ما يسمى بالمواءمة الإيحائية بين الكلمات. فصدرى الكلمات عندهم ليس ما تعنيه بل ما يوائمها وينسجم معها من الألفاظ انسجماً صوتياً غير مقيد بمجداول الدلالات.

إنَّ الإيحاء عنصر هام في عملية الإبداع الرمزية باعتباره أساساً تقوم عليه التجربة الفنية وهو تعبير عن الحالة النفسية للمبدع.

4- تراسل الحواس: تعتبر نظرية تراسل الحواس امتداداً لموقف بودلير المثالي، وتمثل الفلسفة الرمزية رؤية جديدة للكون وأداة فنية من خلال البناء الفني الرمزي على إعطاء مفردات الكون

¹ - درويش الجندي، الرمزية في الأدب العربي الحديث، المرجع السابق نفسه، ص20.

² - تسعديت آيت حمودي، أثر الرمزية في مسرح توفيق الحكيم، المرجع السابق نفسه، صص27-30.

الجامدة والصامتة، أشكالاً ورموزاً تصبح بالحركة والنشاط والحياة، وجعلها تسبح في فضاء من الإيحاءات والدلالات والتعبير الجديدة التي لا تقوى على أدائها اللغة المادية بأسلوبها المألوف. يعتمد الشاعر إلى إيصال الدلالات من خلال تبادل معطيات الحواس فيستخدم إحدى الحواس مثلاً اللمس لما يقتضيه السمع.

"وتراسل الحواس معناه وصف مدركات حاسة من الحواس بصفات الأشياء التي ندركها مثلاً حاسة الشم، وكذا تصبح الأصوات ألواناً والطعوم عطوراً"¹.
"وقد شاعت هذه الوسيلة التي تعد من وسائل التصوير الشعري في القصيدة العربية الحديثة، وأسرف فيها بعض الشعراء وخاصة في بداية فترة التأثير الرمزي في الشعر العربي المعاصر، حيث وجدت الكثير من القصائد التي تتراجع فيها هذه الصور القائمة على تراسل الحواس"².

5- بلاغة الرمز:

للمرزم قيمة فنية وأدبية جعلت منه ظاهرة بارزة في الشعر العربي المعاصر، وأهمية قيمة وضعت عليه كلمسة لافتة لأقلام الشعراء المعاصرين وزادته سموً ودلالة، وبعثت فيه روحاً جديدة ومعاصرة تسير على ركب هذا العصر.
إنَّ الرمز يحمل في ثناياه العديدة من هذه القيم الجمالية والفنية الخالصة وتحقيق الإبداع والجمال الأدبي الراقي، فمن أبرز هذه القيم وأهمها كما يلي:

أ- ديمومة الرمز:

"إنَّ الرمز بديمومته في طاقاته الإيحائية يقوم أولاً من عدم القبول لمحتوى وسياق محدد، وثانياً كونه حاملاً انفعالاً لا مقولة من كونه حالة جمالية، ولعل هذا ما يعلل هيمنة الإحساس الانفعالي المكثف على النصوص الشعرية ذات البنية الرمزية، حيث الثنائيات المضمرة والمعلنة تقدم حبلاً أكثر من ظاهرة أو موضوع"³.

¹ - جميل إبراهيم أحمد كلاب، الرمز في القضية الفلسطينية، المرجع السابق نفسه، ص27.

² - علي عشيري زايد، بناء القصيدة العربية الحديثة، المرجع السابق نفسه، ص82.

³ - عبد الواحد لؤلؤة، مجلة الوحدة، التأصيل والتحديث في الشعر العربي، الرباط، العدد: 82، يوليو 1991، ص16.

أي إنَّ الرمز مستمر ودائم بطاقاته الإيحائية المتجددة، ذلك لعدم تقبله معنى أو محتوى ثابت، فهو لا يقبل قوالب محددة ولا سياقات جامدة كونه يحمل انفعالات غير مقيدة وهذا ما جعلها تسيطر على النصوص الشعرية.

ب- حركية الرمز:

إنَّ الرمز بطبيعته "المتحركة" يمثل قيمة فنية وأدبية لأنه انتقال مستمر يضع في هذه الجوامد الواقعية حياةً ويحولها إلى كائنات نفسية -إذا صح التعبير- لأنَّه لا يراها إلاَّ من خلال ذات أزلية التغيير¹.

إنَّ الرمز باكتسابه قيمة الديمومة التي تعيد الحياة وتبث الحركية في الجوامد، ولا يقيها على حالها الأول، أي إنه يفرض عليها ديمومته وحركيته فتصبح بعد ذلك قابلة للتغيير. والرمز في وجهة نظر كارل يونغ "YONG" هو عبارة عن وسيلة فنية أو أداة دائمة الحركة كالحياة، فقيمته تكمن في وظائفه وأغراضه، فللرمز عدد لا متناهٍ ولا محدود من الأغراض نذكر منها:

1- إنَّ الرمز أداة تعبير عن الجوانب الغامضة في النفس.

2- إنَّ الرمز ذا طابع إيحائي يعبر عن الأجواء الضبابية المبهمة.

3- إنَّ الرمز علاج ناجع للغة العاجزة عن الأداء².

4- إنَّ الرمز يطلق العنان للنفس حتى تنطوي على ذاتها³.

ج- الدارس النقدي للرمز:

إنَّ الدارس المدقق يلاحظ في ثنايا الصورة نفسها وهي ذات صبغة حسية في أكثر الأحيان، كما إنه يلاحظ وجود ظلال في المعنى تتحرك خلف النسيج الحسي لألفاظ اللغة ذاتها

¹ - غطاس كرم، الرمزية في الأدب العربي الحديث، رسالة للأستاذية في الجامعة الأمريكية، بيروت، 1947، ص7.

² - المرجع نفسه، ص3.

³ - محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، المرجع السابق نفسه، ص121.

لتشير بقوة إلى وجود شيء معنوي أو مجرد، متعدد أو منفرد يشير إلى الذهن وهو محرك لخليط الفكر وتؤول إليه كثير من وجوه التأويل المجازية في مجمل الأبيات الشعرية أو القصيدة كلها.¹ أي إن الدارس النقدي له الدور الكبير في فك شفرات الصورة وفهم دلالاتها وإظهار ما هو خفي للوصول إلى المعنى الذي أراده الشاعر في أبياته، وذلك عن طريق تشغيل الذهن وتأويل هذه الصورة الجامدة، فالرمز يلعب دور المحرك للأفكار من أجل بلورتها والوصول إلى المعنى المقصود.

ولكي يبقى الرمز محافظاً ومحققاً لقيمته الفنية، قام العديد من علماء النفس بتكثيف دراسات الرمز ووضعوا التصورات الخاصة بطرق أدائه لوظائفه ودلالاته في ذاته. ومن هنا نستنتج أن للرمز قيمته الأدبية والفنية التي تساهم في عملية التعبير عن المعاني التي لا يتسنى التعبير عنها بطريقة مباشرة.

بالرغم من مدى أهميته إلا أن هناك خطراً يهدده في قيمته يتمثل في "استعمال الرمز بشكل ميكانيكي فيلحق به صدى التقليد ويغني بذلك عن الابتكار والإبداع، وهذا ما وقع فيه شعراؤنا فتجد للشاعر روائعه، إلا أنك تأسف حين تجده مقلداً، فلم يعد إلى حقيقة الرمز في مثاليتها وإنما نقلها مقلداً فأنت جامدة باهتة مبتذلة وهذا ما ألم ببعض شعرا الحديث"².

معنى ذلك أن بعض الشعراء وقعوا في فخ التقليد مما قلص الإبداع الفني، فأنت إنتاجهم رديئة خالية من الذوق الجمالي، وهذا ما جعل الرمز عبارة عن قوالب جاهزة واجترار، فالمشكلة ليست في توظيف نفس الرمز في القصائد إنما العيب في توظيف الرمز بنفس إيجائه ودلالاته.

¹ - عثمان حشلاف، الرمز ودلالته في شعر المغرب العربي المعاصر، المرجع السابق نفسه، ص8.

² - أنطوان غطاس كرم، الرمزية والأدب العربي الحديث، المرجع السابق نفسه، ص9.

المبحث الرابع: أنواع الرمز

1- الرمز الأسطوري:

لقد كان للأسطورة مكانة كبيرة في شعرنا العربي المعاصر خاصة في تجارب الثمانينيات فلجأ إليها الشاعر من أجل إيصال رؤاهم وأفكارهم بشكل أوضح ولعل ذلك يرجع إلى عجز اللغة التقليدية عن أداء وظيفتها التوصيلية، كما "أن الرمز الأسطوري الأكثر شيوعاً في الأدب العربي الحديث والمعاصر إذ يحيل على دلالات متنوعة، اقتبسها الشاعر العربي من منابع كثيرة فبعضها من الحضارة اليونانية وبعضها من الحضارة البابلية، وأخرى من التراث العربي القديم، فنجد في شعرنا العربي توظيف لـ: "سيزيف" و"أدونيس" و"عشتار" و"السندباد" و"تموز" و"شهرار"¹.

والأسطورة هي توأم الشعر يستعملها الشاعر لما لها من قدرة إيحائية، ودلالية لا متناهية، فالشاعر يلجأ إلى الأسطورة لأنها تساعد على بحكم بنائها الفني والدرامي، وما تحتويه من خيال وقدرة على التجنيح واللامعقولية فينجذب إلى شعره"².

الأسطورة في الأصل هي الجزء الناطق في الشعائر أو الطقوس البدائية **Rituals**، وهي بمعناها الأم حكاية مجهولة المؤلف تتحدث في الأصل والعلة والقدر، ويفسر بها المجتمع ظواهر الكون والإنسان تفسيراً لا يخلو من نزعة تربوية تعليمية.

ونعني بها اتخاذ الأسطورة **Myth** قالباً رمزياً يمكن فيه رد الشخصيات والأحداث والمواقف الوهمية إلى شخصيات وأحداث ومواقف عصرية، وبذلك تكون وظيفة الأسطورة تفسيرية استعارية، أو إهمال شخصياتها وأحداثها والاكتفاء بدلالة الموقف الأساسي فيها بغية الإيحاء بموقف معاصر يماثله، "وبذلك تكون الأسطورة رمزية بنائية تمتزج بجسم القصيدة وتصبح إحدى بنياتها العضوية، أو بعصور التاريخ القديم في حياة الإنسان بحيث لا تتفق

¹ - السحمدي بركاتي، الرمز التاريخي ودلالته في شعر عز الدين ميهوبي (نسخة مصورة PDF)، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، مخطوط رسالة ماجستير، 2008-2009، ص31.

² - مجاهد عبد المنعم مجاهد، جماليات الشعر العربي المعاصر، دار الثقافة، القاهرة، د.ط، ص88.

وعصور الحضارة وإنما هي عامل جوهري أساسي في حياة الإنسان في كل عصر مازالت بكل نشاطها وحيويتها، ومازالت كما كانت دائماً مصدر إلهام الفنان والشاعر¹.

فالرمزية الأسطورية هي جعل الأسطورة قالباً رمزياً يمكن فيه رد الشخصيات والأحداث والمواقف الوهمية إلى شخصيات وأحداث ومواقف عصرية أو بذلك تكون وظيفة الأسطورة تفسيرية استعارية، مع إهمال الشخصيات والأحداث والاكتفاء بدلالة الموقف الأساسي فيه بغية الإيحاء بموقف معاصر يماثله، بذلك تكون الأسطورة رمزية بنائية تترج بحجم القصيدة وتصبح إحدى لبناتها العضوية².

إن الرمز الأسطوري في القصيدة المعاصرة يقوم أساساً على التذكر والتداعيات المنيّة على الأحكام والتخيّلات، فإذا كان الحلم عند الإنسان العادي في نظر التحليل النفسي هو تحقيق لرغبة مكبوتة في منطقة اللاشعور، فإن حلم الشاعر والفنان على وجه العموم يتحقق فيما يبدعه من نتاج فني يجده سبيلاً ليفرغ فيه شحنة النفسية وهذا يعني أن الشاعر يعتمد على مخيلته في استقراء ما ابتدعته الثقافة الأسطورية والتجربة الوجدانية التي تستثير في الشاعر خياله المبدع الناتج من الحدس التصوري.

والرمز الأسطوري هو عبارة عن رسالة مرسلّة من النفس إلى النفس ولغة خفية تمكننا من معالجة الوقائع الداخلية كما لو كانت خارجية حيث أن الشاعر يعمل على جعل العالم الداخلي أقرب إلى العالم الخارجي، حتى لا يكون الشاعر منعزلاً عن مجتمعه فهدف الشاعر من ربط العالم الداخلي بالعالم الخارجي وجعله أقرب من بعضه هو تحقيق عدم انزاله عن وسطه الاجتماعي.

حيث جنح بعض الشعراء إلى استخدام الأسطورة في بناء القصيدة المعاصرة وكانت الأسطورة بالنسبة لهم أداة فنية ضمن العديد من وسائل الأداء الشعري، وحيناً آخر كانت

¹ - عبد الحميد هيمة، البنيات الأسلوبية في الشعر الجزائري المعاصر، مطبعة هومة، الجزائر، ط1، 1998، ص222.

² - إلياس بكري، توظيف الرمز في شعر خليل حاوي، جامعة المسيلة، مذكرة لنيل شهادة ماستر، 2015-2016، ص6، نقلاً عن: محمد الفتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، المرجع السابق نفسه، ص291.

تتجاوز هذا الدور إلى أن تصبح منهجاً في إدراك الواقع ونتيحاً حياً يتخلل القصيدة وأساساً يرتكز عليه الشاعر في فنه بعامة.

"إنَّ الأسطورة انعكاس اللاشعور الجمعي، وهي مصدر مشروع للفنان وبخاصة بعد أن طغت آلية الحياة المعاصرة على الفكر المنطقي الواضح، يلجأ الإنسان إلى الأساطير فراراً من حقائق الواقع القاسية"¹، يعمد الشاعر إلى توظيف الشخصيات والأحداث بغية إعادة إحباطها ونقلها من الوهم إلى موقف عصري، ومن أبرز ما يميز القصيدة المعاصرة اهتمامها بتوظيف الأسطورة وهي ظاهرة حاولت إظهارها ما للأسطورة من خصائص يمكن ربطها بالذاكرة الاجتماعية.

والأسطورة في نظر الباحثين ليست سوى تجسيد لأخيلة لا واعية، أي بوصفها ترسبات ناتجة من تفاعلات اللاوعي الجمعي كما جاء ذلك في رأي يونغ اعتماداً منه أن صورة اللاوعي في التحليل النفسي تعد صورة ناقلة لتداعيات العديد من الرموز المترسبة في قاع اللاشعور الجمعي.

وتعتبر الأسطورة "كبدل بالنسبة إلى الشعراء حينما يعجزون عن إيصال أفكارهم حيث يستخدم الشعراء المعاصرون الأسطورة نتيجة لعدم تمكن اللغة التقليدية من أداء وظيفتها المتمثلة في التعبير عن تطلعات الفنان الفكرية والفنية، وقد أثرت الأسطورة في الأعمال الشعرية بصورة فنية عميقة لذلك نجد أن الطابع الأسطوري هو الميزة الأساسية للشعر المعاصر، وليست الأسطورة كما يظن مجرد نتاج يرتبط بمراحل قبل التاريخ. يستخدم الشاعر الرمزي الأسطوري، وبعد استحضاره من خلال اعتماده على رصيد ثقافي للحضارات وما تعكسه نزعاته الخفية من رموز انفعالية حيث يكون لها في عالمه الداخلي انعكاساً لمدلول الرمز الأسطوري، فيعبر عن تجربة مصورة رمزية"².

¹ - إلياس بكري، توظيف الرمز في شعر خليل حاوي، المرجع السابق نفسه، ص291.

² - عبد القادر فيدوح، الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، دار صفاء، عمان، ط1، 2010، صص397، 398، 400.

2- الرمز الديني:

والمقصود بها تلك الرموز المستوحاة من الكتب السماوية الثلاثة، القرآن، التوراة والإنجيل، وقد وجد الشعراء في هذه الديانات مجالاً ثقافياً واسعاً يستلهمون منه رموزهم الفنية، حيث أنهم اعتبروا التراث الديني مصدراً أساسياً لأخذ رموزهم، فتوجه الشاعر وديانته تدخل في اللاوعي ليضمنها في كتاباته "فعندما تكون الثقافة جزءاً من الذات تنبع منها وتتصل بوجدان الشاعر فتنبهر نفسه لتغدو انفعالاً في قلب التجربة، وتدفع بالشعر إلى أقصى الحداثة دون الوقوع في الضياع"¹.

"كما يلجأ الشعراء إلى الرموز الدينية لأنهم ينظرون إلى الدين نظرة واعية باعتباره مؤثراً قوياً على وجدان الفرد والجماعة ولعلّ توظيفهم لمختلف هذه الرموز مكّنهم من توسيع ثقافتهم التعبيرية، وتطوير ثقافتهم الدينية، باعتبار أن العلاقة بين الدين والشعر علاقة وطيدة"².

ويعدّ "الرمز الديني ظاهرة لافتة في الشعر المعاصر، حيث يلجأ إليه الشعراء قصد إسقاطه على الواقع المعاش، أو للتعبير عن حالة نفسية وهذا باستعمال كل أنواع الرموز الدينية سواءً أكانت مسيحية أو إسلامية أو حتى يهودية، وذلك باستلهم الشاعر من هذه الرموز ما يعبر به عن مكنوناته وهذا ما عبر عنه صلاح عبد الصبور بقوله: "ليس التراث تركة جامدة ولكنه حياة متجددة، لا تستحق أن تكون تراثاً"³.

استعان الشعراء بالرموز الدينية لعدم قدرتهم على التعبير عن أشياء غير عادية ذلك لأنها هيأت للإدراك الحسي بالأساس أما ما يمكنها أن تحققه في مجال التعبير التجريدي فليس إلاّ جهداً ضئيلاً بذله العقل ليتخطى عالم الحسية، "في حين أن الرموز الدينية حيث توظف في الشعر عامة تعطي للنص دلالات ذات قيمة تحيله على موروث حضاري زاهر، حيث أنهم لا

¹ - إبراهيم رماني، الغموض في الشعر العربي الحديث، المرجع السابق نفسه، ص124.

² - بن مسعود فدية، الرمز في شعر كمال سقني، المرجع السابق نفسه، ص11.

³ - صلاح عبد الصبور، حياقي في الشعر، دار العودة بيروت، ط1، ج3، 1977، ص208.

يجدون حرجاً في تقمص شخصيات أحد الأنبياء للتعبير عن حالاتهم النفسية وتجاربهم الشعرية".¹

الرمز "يلتبس من المظاهر الخارجية بمقدار الأسباب العميقة الخفية التي ابتغته، فقد تكون الأسباب التي استدعته ثقافية أو فلسفية أو فنية أو جغرافية أو تكنولوجية، ولكنها تظل قاصرة قليلة الأهمية، وبمقابل ذلك فإنَّ القصد من تشكل هذه المعاني المكثفة والهدف الإنساني الذي يركز عليه ينشئان كلاهما بمفهوم واسع ملخص لا يمكن توضيحه"².

ومن أشهر الرموز الدينية الموظفة في الأدب بوجه عام في الشعر، وبوجه خاص رمز المسيح وموضوع صلبه، ففي قصيدة للشاعر العراقي عبد الوهاب اليافي بعنوان: الصلب لا يأتي ذكر المسيح صريحاً، ولكن الشاعر يجعل في القصيدة قرائن يهتدي القارئ بواسطتها إلى التعرف على شخصية المسيح.

ويلجأ الشعراء إلى "توظيف الرمز الديني بغية توسيع ثقافتهم ونظرتهم الواعية للدين والأثر القوي الذي يتركه في وجدان الفرد والجماعة"³.

كما استخدموا رموز الخمرة التي ترمز للهروب من الواقع ونسيان الفجيعة وتعويض الفراغ الروحي، ورمز المرأة الذي يرمز إلى الحرية، حيث كانت المرأة ولازالت منبعاً عزيزاً يستمد منه الشعراء تصوراتهم، فالشاعر عندما يهرب إلى الأنثى فهو يعبر عن ردة فعل الذات المنكرة التي عجزت عن مواجهة الواقع، فالتجأت إلى المرأة لتعويض الفردوس المفقود، وهناك رموز دينية أخرى تشكل هذه الأخيرة ذاكرة الأمة الإسلامية مثل الشخصيات الدينية: صلاح الدين الأيوبي، أبو موسى الأشعري، واستعمال رموز من الكتب السماوية كالإنجيل والقرآن وكذلك استمدادهم رموزاً من الأنبياء مثل موسى، نوح .. إلخ.

¹ - علي عشيري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2006، صص 225-226.

² - مالك شبل، معجم الرموز الإسلامية، دار الجليل، بيروت، لبنان، د.ط، 2002، ص 4.

³ - بن مسعود فدية، الرمز في شعر كمال سقني، المرجع السابق نفسه، صص 10-12.

3- الرمز التاريخي:

هذا النوع من الرمز مرتبط أساساً بالأحداث التاريخية أو الأماكن التي لها علاقة بوقائع تاريخية، بحيث يلجأ الشاعر أو الرامز بتوظيفها في نتاجه الشعري، "وقد كان الشعر في الخمسينيات في مرحلة الحلم القومي والتنوير والتبشير يتغنى باسم المدن العربية المحتلة، ويث أفكاره الثورية عبر توظيفه أسماء البلدان العربية، مثل: سوريا وفلسطين والجزائر، أو يتغنى بأسماء المدن التي شهدت المقاومة الفعلية للعدو، واعتبرته رمزاً للمقاومة، وقد تحول الشعراء العرب المعاصرون بعد هزيمة 1967 خاصة إلى التاريخ العربي قديمه وحديثه يبحثون عن أسماء البلاد والمدن ذات الرموز الدالة"¹.

فالشاعر يتعامل مع الحوادث التاريخية والشخصيات بحذر معتمداً على حسّه الجمالي ووعيه الحضاري بالمشكلات الكونية.

ويقصد به "التوظيف الرامز لبعض الأحداث التاريخية أو الأماكن التي ارتبطت بوقائع تاريخية معينة وغيرها"².

كما يعني هذا الأخير أن يستحضر الشاعر في شعره مواقف تاريخية وشخصيات فاعلة في التاريخ.

وإنَّ الأحداث والشخصيات التاريخية ليست مجرد ظواهر كونية عابرة، تنتهي بانتهاء وجودها الواقعي، بل إنَّ لها "إلى جانب ذلك دلالاتها الشمولية الباقية والقابلة للتجديد على امتداد التاريخ في صيغ وأشكال أخرى، فدلالة البطولة في قائد معين أو دلالة النصر في كسب معركة معينة فظلوا بعد انتهاء الوجود الواقعي في ذلك القائد أو تلك المعركة، باقية وصالحة لتحميل تفسيرات وتأويلات جديدة"³.

فالرمز التاريخي له أهمية لا تتمثل في الحقيقة التاريخية، وإنما في قدرته على ربط التاريخ بالحاضر، ومن هنا يصبح أكثر فعالية في القصيدة.

¹ - كاميليا عبد الفتاح، القصيدة العربية المعاصرة، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ط1، 2007، ص543.

² - نسيم بوصلاح، تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، منشورات رابطة إبداع الثقافة الوطنية، الجزائر، ط1، 2003، ص141.

³ - علي عشيري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، المرجع السابق نفسه، ص120.

وهذا يعني أن "الشخصية تمتد عبر التاريخ بفضل إنجازاتها السابقة وتصبح رمزاً للبطولة والنخوة، فتضل راسخة في الأذهان الجماعية لأمة ذلك القائد، لتحمل في عهدنا هذا إحياءات جديدة تتوافق مع مقتضى الحال وتقصد به التوظيف الرامز لبعض الأحداث التاريخية أو الأماكن التي ارتبطت بوقائع تاريخية معينة ... وغيرها"¹.

فالشاعر أفاد من الرمز التاريخي من خلال "تشكيله الجمالي في التصدي لفكرة الجمود العقلي ليسمو برؤيته الشعرية إلى مستوى الرؤية الإنسانية العالمية، والتاريخ تربطه علاقة بالفن، فالفن مادة من مواد التدوين التاريخي، والتاريخ بدوره يشترك مع الفن في دعائمه الثلاثة: الإنسان، الزمان، المكان"².

لقد كان التاريخ منبع استلهم يلجأ إليه الشعراء المعاصرون لتوليد نوع المفارقة التصويرية بهدف إبراز التناقض الحاد بين روعة الماضي وتألقه وازدهاره، وبين الحاضر ومفاسده.

أي إن الواقع "مصدر لإلهام الشاعر يعكس من خلاله أحداثه وشخصياته التي يصورها عن عالمه ويعبر من خلالها على أهم قضاياها فأما الأحداث والشخصيات التاريخية ليست مجرد ظواهر كونية عابرة تنتهي بانتهاء وجودها الواقعي بل إن لها إلى جانب ذلك دلالاتها الشمولية الباقية والقابلة للتجديد على امتداد التاريخ"³.

والشاعر في ذلك يتعامل مع الحوادث التاريخية والشخصيات بحذر شديد معتمداً على حسه الجمالي ووعيه الحضاري بالمشكلات الكونية التي يتصدى لها، فتحررت رموز عربية وإسلامية وزحفت على مساحة العصر الحاضر، تعيش همومهم وتطلع على أوجاعهم وتشاركهم القلق والبحث عن سبيل الخلاص، كما يقر الباحث محمد فتوح أحمد "يلجأ الشاعر المعاصر إلى طرح بنية الإشارة وتجريبها من أطرافها الصريحة وتفصيلها الهامشية والقناعة منها بمجرد البحث الذي يقوم عليه أو الغاية الكامنة وراءها، بوصفها أهم ما يعني الشاعر في تلك

¹ - نسيم بوضلاح، تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، المرجع السابق نفسه، ص 141.

² - قاسم عبد القاسم، وأحمد إبراهيم الهواري، الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ط، 1979، ص 7.

³ - علي عشيري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، المرجع السابق نفسه، ص 120.

الحالة، وثم يصبح استغلال الإشارة التراثية نوعاً من الاستلهام نحس به من خلال نسيج القصيدة وسياقها"¹.

حيث إنَّ توظيف الشخصية التاريخية في الشعر المعاصر يعني استخدامها تعبيراً ليحمل بعداً من أبعاد تجربة الشاعر المعاصر، أي أنَّها تصبح وسيلة تعبير وإيجاء في يد الشاعر يعبر من خلالها أو يعبر بها عن رؤياه المعاصرة.

يكشف لنا الرمز التاريخي عن "غايات بعيدة ويعبر عن تجربة إنسانية واسعة وأزلية بحسب طاقة الشاعر التعبيرية وقدرته وطاقته البيانية على صهر رموزه ضمن سياق التجربة الكلية لأتمته، هذه التجربة التي هي إشعاع دائم بالنسبة إليه"².

الرمز التاريخي يحوي الرموز الدينية والتراثية والسير الشعبية وأسماء الشخصيات التي كان لها دور بارز في تاريخ البشرية، كشخصية سيدنا يوسف وصالح الدين الأيوبي والمعتصم الذي يرمز للبطولة والمجد وهيروشيما رمز الدمار والخراب.

4- الرمز الطبيعي:

كانت الطبيعة منبعاً للرموز، فقد احتضنت منذ البدء العقل الإنساني تربيته وتنميته وتحاوره، وبسحرها وجلالها الغامض الخفي كانت مصدراً لدهشة الإنسان ومبعثاً لحنينه وإحساسه بالجمال، وبعبارة أخرى رمزاً لتشوقه المطلق والسامي والبعيد "وقد تباين موقف الشعراء في توظيفهم لمعطيات الطبيعة في رسم الصورة ومنطلق لصياغة الخطاب الشعري"³. فالشعراء يجدون في الرمز الطبيعي مسقطاً يسقطون فيه الواقع على الطبيعة، أي أن الشاعر يستمد صورة الرمز من واقع الطبيعة المألوف.

وقد قسم الإيطالي أمبيرتو إيكو (U.ECO) العلامة إلى ثمانية عشر نوعاً، منها "العلامات الطبيعية، ويقصد بها ما في الطبيعة من شجر وماء وجبال وغيره"⁴.

1 - محمد فتوح أحمد، واقع القصيدة العربية، دار المعارف، القاهرة، 1983، ص153.

2 - ينظر: عثمان حشلاف، الرمز والدلالة في شعر المغرب العربي المعاصر، منشورات التبيين الجاحظية، الجزائر، د.ط، 2000، ص6.

3 - علي عشيري زايد، بناء القصيدة العربية الحديثة، المرجع السابق نفسه، ص43.

4 - نسيم بوصلاح، تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، المرجع السابق نفسه، ص101.

ويمثل الرمز الطبيعي معبراً آخر للشعراء لتوحيد الذات بالعالم والتعبير عن دلالات تجربتهم باستنباطهم لطاقات هذا الرمز وشحنه بحمولات شعورية جديدة.

فالشاعر الرمزي يدرك الأشياء وفي الوقت ذاته يدرك أسرار روحه وأشواقه "ومن ثم لا ندهش حين نرى بعض عناصر الطبيعة الجامدة كالسماء الزرقاء والقمر وأنهار الجليد توحى على قلم "ملارميه" بأكثر مما تعنيه في ذاتها حتى تصبح هذه المفردات المنتزعة من الطبيعة بحسب الأصل رموزاً للجمال المجرد البعيد"¹.

وهذا النوع من الرمز يركز على الألفاظ المستمدة من الواقع والطبيعة، والشعر الموهوب يُمنح من عناصر الطبيعة لتكون بمثابة المؤشر عليه، كما يعبر عن التجارب الخاصة، فنحن نطالع في الرمز تجربتنا الخاصة موصولة بتجارب أسلافنا في الماضي.

ومن الرموز المنتمية إلى عالم الطبيعة "تلك التي استوحاها الشاعر من الطير وخاصة الحمام الذي يرمز بدوره إلى الوطن ويثير فيهم شوقاً لا متناهاً... والحق أن لرمزية الطير أصولاً بعيدة في الأساطير والمعتقدات القديمة التي قدست الطير، والزواحف والحشرات هو تقديس وظف في القاموس الحيواني الذي ضربت حوله الأديان القديمة"².

يتخذ الشاعر الرمزي ألفاظه من الطبيعة ومسمياته، وهذا لتوحيد الذات بالعالم، والتعبير عن دلالات وتجارب الشعراء.

وقد اتخذ الشعراء من الرمز الطبيعي أداةً فنية للتعبير عن تجاربهم الخاصة "لتوحيد الذات بالعالم والتعبير عن دلالات تجربتهم باستنباطهم هذا الرمز وشحنه لحمولات شعورية وفكرية جديدة"³.

وقد حفل الشعر بوصف الطبيعة حيها وجامدها في لغة شعرية تثبت بالمحسوس والمباشر إلى تركيب رمزي يتصل بالمجرد.

¹ - محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، المرجع السابق نفسه، ص 311.

² - عاطف جودة ناصر، الرمز الشعري عند الصوفية، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1983، ط3، ص 296.

³ - إبراهيم رماني، الغموض في الشعر العربي الحديث، المرجع السابق نفسه، ص 288.

وقد تعددت الرموز وتنوعت مصادر تشكلها، فهناك "المصادر المسمدة من الطبيعة التي يعتمد فيها الشاعر على خاصيتي التجسيد والتشخيص"¹، وتبقى عملية توظيف الرموز على اختلاف أنواعها كما يرى أحد الباحثين مظلمة للمتلقي حاجبة عنه الرؤيا الموضوعية للموضوع، كما أنها تحد من فاعليته لأنها تدعوه إلى التواكل والاعتماد على الملخص وعلى خلاف هذا يرى غيره أن النص يتمكن بواسطة الرمز من جعل القارئ يعيد اكتشاف الأشياء لا كما تمنع نفسها للنظرة العادية المتصلة بالشواغل الحياتية بل كما هي في الحقيقة، "كما أنه يراها لأول مرة، أنه يستعيد نظرة الطفل، هكذا يدخل الرمز النص صادمًا معجبًا يعيد القارئ إلى الدهشة الأولى أمام الأشياء وكأنه يكتشفها لأول مرة"².

إنَّ الرمز الطبيعي ينطوي على كثير من الرموز فنجد مثلاً رمز المطر يدل على الخير والخريف هو رمز الحزن .. إلخ، فالطبيعة من المصادر التي لجأ إليها الإنسان أو الشاعر كونها روعة الخالق وقرينة من الإنسان.

والرمز الطبيعي يتقاطع مع الرمز الخاص من حيث الحقل الدلالي، إذ يتفرد كل مبدع بتحميل رمزه الطبيعي بما يتناسب وتجربته الخاصة، فالطبيعة لغة مفعمة بالرموز وبهذا تكون الرموز الطبيعية قد حملت معانٍ ودلالات متنوعة حسب موقعها في النص الشعوري الإبداعي، فهي تتضمن عناصر الطبيعة بمختلف مكوناتها حيث يوظفها الشاعر للتعبير عن أحاسيسه ومشاعره.

5- الرمز التراثي:

نعني بالتراث كل ما وصل إلينا منذ القدم، "وهو تارة الماضي بكل بساطة وتارة هو العقيدة الدينية نفسها، وتارة الإسلام برمته، عقيدته وحضارته، وتارة التاريخ بكل أبعاده ووجوهه"³.

¹ - سعيد بوسقطة، الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، منشورات بونة للبحوث والدراسات، ط2، عنابة، الجزائر، 2008، ص39.

² - المرجع نفسه، ص46.

³ - جدعان فهمي، نظرية التراث ودراسة عربية إسلامية أخرى، ط1، دار الشروق، عمان، 1985، ص16.

وهو الموروث الثقافي والديني والفكري والأدبي والفني، وكل ما يتصل بالحضارة والثقافة من قصص وحكايات وكتابات وتاريخ أشخاص وقيم وما عبر عنه ذلك كله من عادات وتقاليد وطقوس.

يعدّ التراث مصدراً غنياً ينبغي ويفترض على الشاعر أن يستمد منه رموزه وذلك "من خلال التناص معه، حيث يستطيع من خلاله اكتشاف مضامين الموروث في بوتقة جديدة تصدر باسمه وباسم عصره، ومن هنا تظل الصورة التراثية ذات قيمة رائعة من خلال مرورها في ذاكرة الشاعر، بل من خلال استقرارها لديه، وتظل ملكاً له وحقاً مباحاً"¹.

شاعت الرموز التراثية في القصيدة العربية الحديثة، حيث عكف شعراؤنا على موروثهم يستمدون من مصادره المختلفة من موروث ديني، تاريخي، أدبي. "والتراث ليس حركة جامدة ولكنه حياة متجددة، والماضي لا يحيي إلا في الحاضر، وكل قصيدة لا تستطيع أن تمد عمرها إلى المستقبل، لا تستحق أن تكون تراثاً"².

وإذا كان الشاعر يستمد عناصره ورموزه الشعرية أساساً من الواقع فإنه في أحيان كثيرة يستمد عناصر هذه الرموز من التراث بمصادره المتعددة باعتبار هذا التراث منجم طاقات إيجابية لا ينفذ له عطاء ومن ثم فإنّ الشاعر حين يتوصل إلى إيصال الأبعاد النفسية والشعورية لرؤيته الشعرية عبر جسور من معطيات هذا التراث فإنه يتوصل إلى ذلك بأكثر الوسائل فعالية وقدرة على التأثير والنفع، هذا بالإضافة إلى أنّ استخدام الرموز التراثية يضيفي على العمل الشعري علاقة وأصالة ويمثل نوعاً من امتداد الماضي في الحاضر.

ويمثل التراث بوصفه مصطلحاً يتردد كثيراً في الدراسات العربية المعاصرة، فقد أصبح يمثل طاقة كاملة لاستشراف آفاق جديدة وتطويع عناصر الواقع الراهن فقد وردت كلمة تراث في القرآن الكريم حيث قال تعالى: "وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا" (19)³.

¹ - التطاوي عبد الله، المعارضات الشعرية، أنماط وتحليلات، دار قباء، القاهرة، 1998، ص84.

² - بوعيشة بوعمار، الشاعر العربي المعاصر ومناقشة التراث، مجلة كلية الآداب واللغات والفنون، منشورات جامعة بسكرة، 2018، ص2.

³ - سورة الفجر، الآية: 19.

ولعل مناسبة الآية الكريمة هو "ما كان سائداً في حياة العرب قبل مجيء الإسلام من عادة منع النساء من الميراث وكذلك صغار الأولاد فيؤكل نصيبهم باعتبار أن الوريث مقصوراً على من يدافع بدمه عن حوض القبيلة، ويحمي حوزة القوم"¹.

وقد أصبح من مدلول هذه الكلمة أكثر تمييزاً في الأدب والاستلهام لعناصر التراث والماضي، يمثل صورة احتجاجية على اللحظة الحاضرة التي تعاد لها في الموقف اللحظة الغابرة في سر أديب الماضي، كما ينتج هذا الاستلهام للشاعر والمتلقي الاتكاء على ما تفجره الشخصية التراثية أو الموقف التاريخي من مشاعر ودلالات تحفظ القصيدة نفسها من التسرب في سردية خطابية باهتة، فالشاعر هنا يستمد رموزه الشعرية من الواقع، كما يأخذ عناصرها من التراث بمصادر متنوعة، "فعناصر هذا التراث ومعطياته لها القدرة على الإيحاء بمشاعر وأحاسيس لا تنفذ على التأثير في نفوس الجماهير ووجدانهم ما ليس لأية معطيات أخرى يشغلها الشاعر لأنها تمثل الجذور الأساسية لتكوينهم الفكري والوجداني والنفسي"².

وبهذا يستحضر الشاعر التراث الرمزي انطلاقاً من نصوص وطقوس تتداعى إليه من الذاكرة الجمالية العربية لأنها بالنسبة إليه تقاطع بين الماضي والحاضر.

كما يعتمد الشاعر بإيصال الأبعاد النفسية والشعورية في الرؤية الشعرية على وسائل أكثر فعالية لإحداث القدرة على التأثير والنفاذ. هذا بالإضافة إلى استخدام الرموز التراثية فإنه يضيف على العمل الشعري عراقة وأصالة فيمثل نوعاً من تغلغل الحاضر بجذوره في تربة الماضي الخصبة، كما أنه رؤية شعرية يجعلها تتخطى صدور الزمان والمكان في إطار الحاضر مع الماضي، فدلالات التراث كما ترى رجاء عبيد "أنها تنتج نماذج وتخلق تداخل بين الحركة الزمنية حيث ينسكب الماضي بكل إثارته وتوفرته وأحداثه على الحاضر بكل ما له من طراجة اللحظة الحاضرة"³.

¹ - حكيم دهيني، توظيف التراث في شعر نزار قباني، مخطوطة رسالة ماجستير (نسخة مصورة PDF)، جامعة باتنة، 2000-2001، ص30.

² - علي عشيري زايد، بناء القصيدة العربية الحديثة، المرجع السابق نفسه، 2008، ص121.

³ - ينظر: رجاء عبيد، لغة الشعر، قراءة في الشعر العربي المعاصر، نشأة المعارف، مطبعة أطلس، القاهرة، د.ط، 1985، ص301.

وقد أصبحت الشخصيات التراثية رموزاً في شعرنا المعاصر تعبر عن التجربة الشعرية والشعرية، "فالرمز لغة فوق إنسانية، إنه لغة الفكر العابر من الرؤية إلى الرؤيا"¹.
 أيضاً فيما يتصل بالرمز التراثي: "فنجده إسراف بعض الشعراء في استخدام هذه الرموز التراثية واستعارة بعض الشعراء لرموزهم التراثية من تراثات أخرى غير تراثهم القومي ليس لها في وجدان جماهيرهم ما لمعطيات تراثهم من إحياءات ومن تأثير"².
 الرمز التراثي موروث ثقافي، ديني، فكري وفني عن السلف، وهو كل ما يتصل بالحضارة والثقافة من قصص وحكايات، وكتابة تاريخ الأشخاص وقيمهم وعاداتهم، إلا أنه يعاني من نفس المخاطر التي يعاني منها الرمز المستمد من الواقع والمتمثلة في التقليد والابتذال والغموض.

¹ - بولس طوق، صلوات إلى أرفيوس، دار نوبليس، بيروت، لبنان، ط2، 2000، ص24.

² - علي عشيري زايد، بناء القصيدة العربية الحديثة، المرجع السابق نفسه، ص121.

الفصل الثاني:

أبعاد الرمز عند مفدي زكرياء

(الإلياذة نموذجاً)

1- الرمز الأسطوري

2- الرمز الديني

3- الرمز التاريخي

4- الرمز الطبيعي

* تمهيد:

لجأ الشعراء المعاصرون إلى توظيف الرمز، الذي هو إحدى وسائل الأديب الفنية التي تتيح له فرصة تكثيف مشاعره والإيحاء بجرأة أفكاره ومواقفه دون اللجوء إلى أسلوب المخاطبة والمباشرة الذي جعل الشعر باهتاً، فالرمز بهذا أدخل في فن الإبداع الأدبي، وأكثر خصوبة حين يوظفه الأديب بنجاح.

وظاهرة الرمز الفني قديمة قدم الفن الأدبي نفسه، إلا أن المذهب الرمزي بخصائصه المتميزة لم يعرف إلا بعد 1886م، حيث ظهر هذا المذهب بفرنسا.

لقد كان توظيف الرمز في القصيدة الحديثة مشتركاً بين غالبية الشعراء على مستويات متفاوتة من حيث الرمز العميق إلى الأعماق، ومفدي زكرياء استخدم في شعره جميع الرموز من بينها: دينية، تاريخية، أسطورية، طبيعية، تراثية.

وذلك دليل على تمسكه بدينه وتعلقه بالتراث وإعجابه بجمال بيئته ومناخها، كل ذلك كان مساهماً في بناء قصائد متينة وتحديثه عن وطنه الذي عانى الويلات أثناء الاستعمار، ومن هذه الإلياذة نجد عدة رموز مختلفة عن بعضها.

1- الرمز الأسطوري:

يتخذ الرمز الأسطوري من الأسطورة إطاراً شاسعاً تتحرك فيه لواحقه، "والأسطورة قصة مركبة من عناصر إلهية خالصة ومن دون أساس تاريخي، غير أنّها اتخذت في المفاهيم المعاصرة في النقد العربي على الأقل معنى يقوم وسطاً بين الأسطورة ذات القصة الشعبية بأصولها التاريخية".¹

"إنّ الأسطورة في أصلها رمز لقوة الطبيعة المختلفة، والظواهر الكونية المحيطة بالإنسان، أصبحت تشكل معتقداً دينياً عنده عبر جاهليته منذ وجوده على الأرض، من وجهة النظر الفنية فالأسطورة في البدء كانت رمزاً مبتكراً ثم أصبحت عرفاً اجتماعياً دينياً تتبناه الجماعة وتؤمن به، وإنّما تعالج مشكلات الوجود على أن توسع من دلالة الكلمة التي تشمل الله والكون والإنسان، فهي في الأصل خرافة دينية صدرت عن فرد اتخذت فيما بعد وسائل في التوثيق، حيث رسخت على أنّها حقائق موروثية في ضمير الشعوب".²

والرمز الأسطوري عند مفدي زكرياء قد نرى فيه شكلاً من أشكال المقاربات النقدية التي يمكن أن تؤلف تجربة إضافية للعمل النقدي. فالرمز الأسطوري عند مفدي زكرياء يأتي عن أصالة الشاعر بما يعبر به من تجربة مستلهمة في جوانبه التراثية والطاقة الإيحائية والغموض الذي يكتنفه، كما إنّّه يحاول في بعض الأحيان الرمز الأسطوري إلى طلاس يصعب حلها، وقد يقع مأخذ آخر، وهو التفسير الذي يلجأ إليه بعض الشعراء قصد التخفيف من حدة هذا الغموض، فيملئون قصائدهم بشروحات تفسر مراميهم من استعمال هذه الرموز، وتحدد مدلولاتها الخاصة.

¹ - ينظر: نسيمه بوصلح، تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، المرجع السابق نفسه، ص11.

² - إيمان محمد أمين خضر الكيلاني، بدر شاكر السياب، دراسة أسلوية لشعره، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008، ص127.

كما استعان مفدي زكرياء ببعض الرموز التي توحى إلى طابع بدائي أولي التي يشترك فيها العقل الباطني الجماعي للناس من حيث استعماله لبعض المداولات التي انتقاها من التراث العربي ومن الرموز التي استقاها الشاعر في هذا المجال بقوله¹:

والنار في مس الجنون عزيمة **** يصل بها المستعمر متكبر

ففي البيت حديث عن دور النار التي ترمز إلى السلاح بشق أنواعه في مقاومة الاستعمار وإرغامه على الاعتراف بالحق لذويه، ولكي يؤدي الشاعر هذا المعنى وظف رمزاً مشهوراً في الطب الشعبي، وهو علاج الأمراض العقلية والجنون عن طريق الكي بالنار، لكي يعود إلى عقله وصوابه، فالاستعمار في سياسته بالجزائر المتمثلة في التسلط والاضطهاد إنما هو مصاب بالجنون ولكي يشفى منه، لابد من كيّه بالنار، وهذه النار هي نيران الأسلحة والمدافع والقنابل...، والثورة الجزائرية بهذا المفهوم ليست إلا علاجاً للمستعمر الذي فقد عقله وأضاع رشده، فأصبح يقوم بتصرفات لا يقبلها العقل ولا المنطق.

وتتوزع الأسطورة عبر ثنايا الإلياذة ومن بين هذه الأساطير، أسطورة الأطلس التي ربطها بالشموخ في جبال الأطلس في قوله²:

سل الأطلس الفرد عن الجرجرة *** تعالى يشدّ السما بالثرى

وقد ورد في الميثولوجية الإغريقية أن الأطلس هو المعبود ويشتهر بحمله قبة السماء على كتفيه، وهو أحد العمالقة الأقوياء مثل عنتي وهرقل وغيرهم، وقد كان الأطلس من بين العمالقة الذين اكتسحوا الأولمبي الذي يحظى بمكانة عظيمة في البحر.

ولقد وظف كذلك الرمز الأسطوري في بيت آخر في قوله³:

علا بالمديّة تاج الجلال *** فأعلى بمليانة المرفقا

ومن هدهد الصدا بالتوأمين *** قضى للجزائر أن تعشقا

¹ - مفدي زكرياء، الديوان: إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1987، ص85.

² - المرجع نفسه، ص24.

³ - المرجع نفسه، ص47.

دلال المدينة أي الملبوك *** وكم خطابٍ ودها أخفقا
تنازعها الروم و المسلمون *** وحاول زيان أن يسبقا
وكاد ابن توجين وابن مرين *** بنار المدينة أن يحرقا
ملائكة الله هل نقلوها *** أجل، من رأى حسنهما صدقا

الشاعر مفدي زكرياء من خلال هذه الأبيات أشار إلى الأسطورة المتداولة التي تقول بأن مدينة المدينة لم تكن متواجدة في عابر الأزمان، في المكان الذي نعرفه اليوم، بل كانت معلقة بين السماء والأرض، وذلك لجمالها الآسر وسكانها الطيبين، فيزينها اللون الأخضر المنتشر في ثناياها وجوانبها، ويكسوها بياض الثلج في الشتاء يعكس نقاء قلوب سكانها لشدة تسامحهم حتى لقبوا بالمهدين، ومدينتهم بالمهدة أو مدينة الملائكة والسلام.
ويقول أيضاً¹؛

جزائر يا مطلع المعجزات *** ويا حجة الله في الكائنات
يا بسمة الرب في أرضه *** ويا وجهاً ضاحك القسمات

ومحصلة ما تقدم أن أولية الأسطورة في شعر مفدي زكرياء كانت شديدة الصلة بالممارسات الطقوسية في الدين، وتطورت عن طريق الممارسات اليومية والانفعال الحماسي الذي صاحب تلك المرحلة.

رغم أن الكثير من الباحثين لم يستطيعوا أن يقدموا لنا الكثير من التصورات السليمة لأولية الأسطورة في شعر مفدي زكرياء، فهناك من اجتنب الحديث عنها واعتبرها نموذجاً موازياً لعمل الدين، وهناك من ربطها بالتراث الشعبي وآخرون ربطوها بالأدب القديم.
وكذلك في قوله²:

سل البحر والزورق المستها *** م كأنما جذيفه قلب شاعر

¹ - الديوان: إلياذة الجزائر، مفدي زكرياء، المرجع السابق نفسه، ص19.

² - المرجع نفسه، ص23.

تباركه أم أفريقيًا *** على صلوات العذارى السواحل
وفي هذه الأبيات الشاعر يصف لنا جمال الجزائر فذكر رمز أسطوري "أم أفريقيا" فهي
كنيسة في الجزائر تم بناؤها بأمر من سيدة إفريقية، وتعد هذه الكنيسة هي رمز بوابة الكاثوليك
نحو أفريقيا، وهي في أعالي العاصمة الجزائرية وقلعة من قلاع التسامح والتعايش السلمي بين
الأديان. وتحفة معمارية مميزة تطل على البحر الأبيض المتوسط لتنشر رسائل الحب والسلام على
القارة السمراء.

ويقول أيضاً:¹

وقالمة تزهو بحمامها *** بهدهد معسول أحلامها
يشيع البخارى تباريحها *** ويشكو مواعع آلامها
ويرجف بركانها ساخطاً *** فيمسخ صناع آثامها

الشاعر هنا يصف مدينة قالمة وتفسير هذه الأسطورة المتواترة جيلاً عن جيل، قصة
المصطلح المتواتر "حمام المسخوطين".

إنَّ قرانا الواقعة في إحدى القبائل المجاورة للحمام، زفت فيها أخت لشقيقها وأقيم
حفل زفاف بالحمام المذكور، في جمع يترأسه القاضي الذي حرر عقد الزواج وسط عدوله
وأعوانه، فمسخهم الله أحجاراً على أشكال آدمية، انطلاقاً من الإيحاء بهذه الأسطورة جاء
المسخ على كل منتهك للحرمت، وجاءت انتفاضة عارمة ضد تحدي الاستعمار لأحداث 08
ماي 1945 وصمدوا في وجه المجازر الوحشية التي كان يقوم بها جلادان "ليستر وكابونيل"
اللذان شملهما القصاص بعد ذلك على يد الفدائيين، لهذا يمكن القول إنَّ مثل هذه الرموز كانت
داعية لتشكيل الأسطورة التي دفعت سكان قالمة للانتفاضة ضد المستعمر الفرنسي.

¹ - الديوان: إلياذة الجزائر، مفدي زكرياء، المرجع السابق نفسه، ص34.

2- الرمز الديني:

يعد القصص القرآني من أروع وأغنى الصور، ويتجلى هذا القصص في قصص الأنبياء والرسول عليهم السلام حيث يريد الله سبحانه وتعالى للعبارة والاقتداء لما لها من أثر عميق وراسخ في ذاكرة المسلمين، ففيها صراع بين الحق والباطل، والهدى والغي، كما أنها تجذب القارئ وتشوقه بأسلوبها القصص الممتع، وبما أنها واقعة تاريخية ذات أحداث وشخصيات، فقد تحولت عند الشعراء إلى رموز بمعان أخلاقية ومواقف إنسانية، " .. فغدى سيدنا موسى مثلاً للثبات على الحق رغم الجبروت والظلم، وسيدنا عيسى مثلاً للسمو والنقاء والتسامح، وسيدنا يوسف مثلاً للعفة والطهر والصبر، وسيدنا إبراهيم مثلاً للفداء والتضحية في سبيل العقيدة"¹. يقصد بالرمز الديني تلك الرموز المستقاة من الكتب السماوية الثلاث (القرآن، الإنجيل، التوراة).

"وجد الشعراء من هذه الديانات مجالاً ثقافياً واسعاً يستلهمون منه رموزاً فنية، فاعتبروا التراث الديني مصدراً مقنعاً وكاملاً لأخذ رموزهم، فتوجه الشاعر وديانته تدخل في اللاواعية ليضمها في كتاباته، فعندما تكون الثقافة جزءاً من الذات، تتبع منها وتتصل بوجدان الشاعر فتتصهر فيه لتغدو انفعالاً في قلب التجربة، وتدفع بالشعر إلى أقصى الحداثة دون الوقوع في التيه"².

وما شاعرنا إلا واحد من هؤلاء الذين تأثروا بالتراث ومصادره حيث تنبع ثقافته من البيئة الإسلامية الأصيلة التي نشأ فيها، وبثقافته الدينية، ولما عاينه من استبداد كان سببه الاستعمار الفرنسي وقد ساهم هذا في تكوين شخصيته الشعرية التي طبعت إنتاجه الأدبي. "لذلك كان التراث العربي الأصيل بمصادره الفنية المعروفة من القرآن الكريم والأدب العربي بمفهومه الواسع"³.

¹ - محمد ناصر، مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة، جمعية التراث، المطبعة العربية، ط2، 1989، ص119.

² - إبراهيم رماني، الغموض في الشعر العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 1991، ص124.

³ - محمد ناصر، مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة، المرجع السابق نفسه، ص106.

ونجد الشاعر مفدي زكرياء قد استخدم الرمز في شعره لوصف موضوع ما، سواءً كان اجتماعياً أو سياسياً، ولقد تناول مفدي زكرياء في إلياذته عدة رموز منها الرمز الديني، فلقد كان القرآن الكريم هو المصدر الأول للشعر، وقد كان مداوماً على قراءته فحفظ جزءاً منه ووظفه في قصائده وظهر هذا في لغته الشعرية وكذلك الأحاديث النبوية.

"ونحن نتفحص الإلياذة لاحظنا أن الصراع الذي كان قائماً بين الشعب الجزائري والاستعمار الفرنسي والمعاناة التي ألمت بهذا البلد جعلت الشاعر يلجأ إلى توظيف التراكيب ذات الفعلية لتحريك نفوس الشعب وكان خير سبيل هو كتاب الله المقدس (القرآن الكريم) فمزاوجة مفدي زكرياء أبياته الشعرية بالآيات القرآنية هو قناعته الخاصة وإيمانه بأن النصر من عند الله من جهة وليؤكد للشعب ضرورة تمسكه بدينه من جهة أخرى"¹.

الشاعر مفدي زكرياء تناول الرمز الديني في إلياذته ونلمس ذلك في قوله:²

ويلتف الساق بالساق، فنصبوا *** فيغمرنا مللقى الفكر نصحا

في هذا البيت من الإلياذة، نجد الرمز الديني المتمثل في "ويلتف الساق في الساق" الذي استقاه من القرآن الكريم، فلقد وظفه الشاعر هنا ليؤكد أنه مهما استعصت الأمور وضائق الدنيا فإن مرجع الناس إلى الملتقى الفكري والذي هو مفتاح كل ضياع وجواب عن كل سؤال كما هو حال العباد، فمهما عملوا في الحياة الدنيا من خير أو شر فمرجه إلى الله عز وجل.

ويقول أيضاً:³

عرجنا نافع باينام صباحا *** كأنا اغتصبنا لهامان صرحا

¹ - شقراني فتيحة، المعجم الديني في إلياذة مفدي زكرياء، مذكرة لاستكمال شهادة ماستر، -ملحقة جامعة مغنية-، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2015-2016، صص 30، 31، نقلا عن: فاطمة بن حاج طاهر، حفيظة طوير، أبعاد الرمز الديني التاريخي عند مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر نموذجاً، مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس، جامعة المدية، 2009، ص 37.

² - الديوان: مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، المرجع السابق نفسه، ص 10.

³ - المرجع نفسه، ص 26.

وفي هذا البيت من القصيدة ذكر الشاعر غابة باينام، وهي أجمل مناخ جبلي في صدر عاصمة الجزائر، يوحى بالعظمة والشموخ وذكر هامان كرمز ديني لأنه ذكر في القرآن الكريم، فلقد كان الوزير الأول لفرعون والمقرب من حاشيته، فاستحال من سورة القصص أنه رئيس عمال المقالع، لذلك ذكره الشاعر في هذا البيت.

ومن خائرين كأعجاز نخل *** ضمائرهم في المزداد رقيقة

فقد أخذ الشاعر الكلمة ومعناها من قوله تعالى: "كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ"¹، إذا ضمن كلمة خاوية في عجز البيت: ضمائرهم في المزداد رقيقة، يعطي الشاعر هنا صورة عن الوضع الحرج الذي كانت تتخبط فيه الجزائر، ويقول في وصف الخونة الذين باعوا ضمائرهم الميثة طموحاً للكراسي والمجد المزعوم، فشبهم بأهل عاد الذين لم يبق لهم سوى الذكر السيء.

وكذلك قوله:²

وقالوا هجرت ربوع البلاد *** وهمت مع الشعر في كل وادي

فعجز البيت استقاه من القرآن الكريم من قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ"³، مفدي زكرياء يرد في هذا المقطع على جمهور الجزائر المثقفين الذين اهتموا بجميع أنواع الشعر وطرقوا كل أبوابه.

في بيت آخر يقول:⁴

وعرق الأصالة طهر طبيعي *** ونور الهداية أذهب رجسي

¹ - سورة الحاقة، الآية: 7.

² - الديوان: مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، المرجع السابق نفسه، ص 115.

³ - سورة: الشعراء، الآية: 255.

⁴ - الديوان: مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، المرجع السابق نفسه، ص 33.

ف نجد أنَّ الشاعر في هذا البيت من القصيدة أخذ من القرآن "أذهب رجسه" فهنا رمز ديني في قوله تعالى: " إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً"¹.

لقد أنزل الله هذه الآية على أهل البيت الذين لهم شرف النسب العظيم، والشاعر في وصف نفسه وضع هذا البيت مفتخراً بنسبه وأصله.

كما يتحدث الشاعر في إلياذته عن مطلع الثورة الجزائرية فيقول:²

تأذن ربك ليلة القدر *** وألقى الستار على ألف شهر

وقال له الشعب أمرك ربي *** وقال له الرب أمرك أمري

فالشاعر يأخذ اللفظ والمعنى ويصل أحياناً إلى حد الذوبان مع النص القرآني، إذ لا كلام مع كلام الله، فليلة القدر تعمل على عدة دلالات في نظر الشاعر، فإذا كانت ليلة القدر هي ليلة التغيير في مجرى الحياة البشرية من الجاهلية والظلام إلى نور الإسلام، فإنَّ ليلة أول نوفمبر هي نقطة التغيير بالنسبة للشعب الجزائري، فهي التي أدت به إلى الانتقال من ظلمة الاستعمار والظلم والاستبداد إلى الاستقلال والحرية والنصر.

أمَّا قصة سيدنا موسى عليه السلام فهي "أكثر إلحاحاً على ذاكرة الشاعر غيرها من القصص، فهو كثير الاقتباس من أحداثها ومواقفها لاسيما تلك المواقف التي لا يمكن اعتبارها حاسمة جليلة، مثل لحظة تكليم الله لموسى على طور سيناء، ولحظة إلقاء موسى عصاه .. أو حينما تتلقف سحر السحرة .. هذه اللحظات انتصار الحق على الباطل والهدى على الضلال، هي التي جعلت عصا موسى عند مفدي زكرياء رمزاً يستخدمه في شعره كلما رغب في تصوير المواقف الثورية وانتصارها وكذلك اهدار قوى الشر والطغيان أمامها"³.

¹ - سورة: الأحزاب، الآية: 33.

² - الديوان: مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، المرجع السابق نفسه، ص67.

³ - محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985، ص475 - بتصرف-.

ويقول أيضاً:¹

وَأَلْقَيْتُ فِي السَّاحِرِينَ عَصَا *** ي تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ بِسِحْرِي
وفي قوله تعالى "فَأَلْقَى مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ"²، فالشاعر يقصد بعصاه شعره ودوره في الثورة، فذكر معجزة موسى عليه السلام التي هي العصا وشبهها بشعره.

ويقول مفدي زكرياء منتقداً الأوضاع والأخلاقيات الدخيلة على الشباب الجزائري، كالמושاة التي جعلته يغفل على دينه منبهراً بالغرب، فحاول الشاعر أن يبين طبائع الشعب الجزائري الجلييلة الراضية لأي انحلال، حيث قال:³

وَتَأْبَى رُجُولَتُنَا الْإِبْتِدَالَ *** وَأَحْلَاسُهُ، وَالشُّعُورَ الطَّوِيلَةَ
تَخَنَّتْ هَذَا الزَّمَانُ وَدَبَّتْ *** خَنَافِيسُ هَيْبِي، يَشِيعُ الرَّذِيلَةُ!

لقد وظّف مفدي زكرياء رموزاً دينية أخرى بكل ثقلها وما تحمله من شحنة حضارية، هو دلالة على الاعتزاز بالانتماء لهذه الرموز، ومن جهة أخرى حاول الشاعر أن يجعل من نفسه رمزاً ثقافياً يشكل مع مجموعة من الرموز الأخرى للفضاء الحضاري والذي تكونت فيه الهوية الحضارية الجزائرية فيقول:⁴

وَسَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَا *** وَاتِ وَالْأَرْضِ مَلَأَ شَفَائِفَ شَفَا
كَأَنَّكَ تَصْغَى بِهَا لِلْخَلِيلِ *** وَمُوسَى الْكَلِيمِ يَرْتَلِ صَحْفاً

فهذا الاقتباس القرآني يجعل من الشفا (وهو جبل من جبال الجزائر) محط إعجاب وإثارة للخشوع، إذ لم يجد الشاعر طريقة يصف بها الموقع غير التسميح بحمد الله وذكر عجائب مخلوقاته.

¹ - الديوان: إلياذة الجزائر، مفدي زكرياء، المرجع السابق نفسه، ص113.

² - سورة الشعراء، الآية: 45.

³ - الديوان: مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، المرجع السابق نفسه، ص90.

⁴ - المرجع نفسه، ص32.

الاقتباس الأول أخذ من النص القرآني كما هو دون تحريف، أما الاقتباس الثاني فهو مضمّر ويفيد المضمون دون الحفاظ على ترتيب عناصره اللغوية، أو إيرادها كما هي، وهو ما نصادفه في البيت الثاني حيث يترجم قوله تعالى: "إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ"¹.

وظيفته هذه هي تشبيه جبال الشفا بالصحف التي يمكن أن يقرأ فيها كل متمعن آيات الجلال والجمال، حيث يقول:²

وأخرجت الأرض أثقالها *** فطار بما العلم فوق الجبال

توفر للشعب أقدارهم *** وتكفي الجزائر ذلّ السؤال

لقد أدلّ البيتان "أخرجت الأرض أثقالها" قد جاء مخالفاً لدلالته في السياق القرآني التي تشير إلى هول الساعة حيث تزلزل الأرض أثقالها أي ما يطنها من معادن ومخروقات، فالزلزلة هنا أحدثها الشعب الجزائري، وهذا المعنى استمدّه من قوله صلى الله عليه وسلم: "لَأَنَّ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ، فَيَحْطَبَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَتَصَدَّقَ بِهِ وَيَسْتَغْنِيَ بِهِ مِنَ النَّاسِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلًا، أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ ذَلِكَ، فَإِنَّ أَيْدِيَ الْعُلِيَّا أَفْضَلُ مِنْ أَيْدِي السُّفْلَى"³.

ف نجد الشاعر مثلاً حين يصور إرادة الشعب وتحديه، يوظف المواقف والأحداث التي تزخر بما فعله المجاهدون إزاء أعدائهم الذين باؤوا بالفشل بإرادة من الله تعالى. وفي قوله أيضاً:⁴

تبارك شعب تحدى العناد *** فصام وأضرب سبعا شداد

1 - سورة: الأعلى، الآية: 18-19.

2 - الديوان: مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص38.

3- صحيح مسلم، ترقيم وترتيب: محمد فؤاد عبد الباقي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ج1، ط1، 1999، ص230.

4 - الديوان: إلياذة الجزائر، مفدي زكرياء، ص80.

الاقتباس من قوله تعالى: " وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا"¹، أما السنون السبع فقد قابل بها الشاعر سنين الثورة السبع في شدتها وما ينتظر بعدها من فرج، فالشعر تحد فرنسا وكسب بعدما أضرب وصام، وقدم كل ما يملك من أجل طرد الاستعمار.

ومن الرموز البارزة في نصوص القصيدة الثورية لمفدي زكرياء، تلك المتعلقة بالمرأة والطبيعة والشخصيات التاريخية والدينية خاصة حين يكون الموضوع ثورياً وجدانياً.

وقصة "مريم" بعدما برأها الله تعالى أوضحت رمزاً للطهارة والعفة والشرف، وهذا الرمز العظيم في التراث الديني أخذه زكرياء وحمله دلالة جديدة للتعبير عن رؤية وجدانية ثورية، إذ أن مريم تعد من الشخصيات الدينية ورمزاً للإخلاص والطهر في الثقافة الإسلامية إلى رمز ثوري وجداني يجسد الأصالة والتراحم في القصيدة الثورية. حيث يقول الشاعر في قصيدته:²

وَتُغَضِبُ عَيْسَى الْمَسِيحِ، وَتُبْكِي *** عَلَى جَذَعٍ نَخَلْتَهَا مَرِيماً

وكذلك استلهم مفدي زكرياء بعض الرموز من الأحاديث النبوية الشريفة، فالحديث النبوي الشريف هو شارح للقرآن الكريم وثاني منهج للمسلمين، ولهذا فكثر الأخذ منه ليس أمراً غريباً، وإنما نرى ذوبان الحديث النبوي في النص دليل على براعته واستحضاره لثقافته الدينية وبعث حركية في المتلقي حتى يستحضر الآخر ثقافته الإسلامية، وبالرجوع إلى الإلياذة نلتمس مدى ذوبان النص الغالب في النص المنتج، كما في قوله:³

أَتُوبُ أَلِيمَ إِلْيَاذَتِي *** عَسَاهَا تَكْفُرُ كُلُّ ذُنُوبِي

عصيتك عالماً بأنك تغفر *** على المسرفين فهانت خطوبي

¹ - سورة النبأ، الآية: 12.

² - الديوان: مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، المرجع السابق نفسه، ص98.

³ - المرجع نفسه، ص98.

لقد أقر الشاعر بذنوبه وهو يرجو الرحمة من الله تعالى وعفوه ومغفرته بأنَّ الله غفور رحيم، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم"¹.

إنَّ الله عزَّ وجل يعلم أنَّ عباده يذنبون لهذا فهو يغفر لهم، لأنهم لو لم يذنبوا لما كان عقاب ولما كانت توبة إلى الله والاستغفار له، إنَّ الله واسع وسعت رحمته كل شيء.

ويقول كذلك:²

وكم عاهدوك وكم أخلفوا **** وكنت بما يضمرون بصير

"الوفاء بالعهد" صفة المؤمنين ودعامة الثقة بين الأفراد والجماعات وأهل لعوامل الاستقرار والسلام، فإن افتقد الإنسان لهذه الصفة أصبحت فيه خصلة من خصال المنافق، وهي إخلاف العهد وهو ما تكلم عنه مفدي زكرياء والواضح أنَّه استقى قوله: (وكم عاهدوك وكم أخلفوا) من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنافقين الذين يقول فيهم: "آية المنافق ثلاث، إن حدث كذب وإن وعد أخلف وإذا أؤتمن خان"³.

ويقول الشاعر في إلياذته:⁴

وَيَصْنَعُ وَحَدَّثَنَا ابْنُ عَلِيٍّ *** فَيَرْفَعُ رَايَتَهَا بِالْيَمِينِ

وَيَنْبِضُ قَلْبٌ بِأَرْضِ الْجَزَائِ *** رٍ، تُمْسِكُ تُونِسُ مِنْهُ الْوَتِينَ

ويقصد الشاعر هنا أنه لما تهمت أرض الجزائر بحدث ما، فإنَّ الشعب المغربي كله يهتز نصرة، فالوطن العربي كالجسد الواحد، وهذه الصورة الشعرية الرائعة تضمنت الحديث الشريف

¹ - زكي الدين عبد العظيم المنذري، مختصر صحيح مسلم، ط.م، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1422 هـ، 2001 م، ص179.

² - الديوان: مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، المرجع السابق نفسه، ص55.

³ - محمد ابن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفري، الجامع الصحيح المختصر، دار ابن كثير اليمامة، بيروت، ج1، ط1987، ص121.

⁴ - المرجع نفسه، ص50.

في قوله صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى من عضو تداعى سائر الجسد بالسهر والحمى"¹.

3- الرمز التاريخي:

إن توظيف الرموز التاريخية في شعرنا عرف بالمشرق العربي، وذلك يعود إلى الانكسارات وخيبة الأمل التي عاشتها الشعوب العربية، والمحاولات الفاشلة للنهضة واستعادة أمجاد العرب، إذ رضخت معظم البلدان العربية تحت ظل الاستعمار والامتداد الأوروبي بعد سقوط الدولة العثمانية، مما لحقها من محاولات جادة بغية مسح تاريخها وهويتها واستلاب مدخراتها الثقافية من مادية، بالإضافة إلى زرع الكيان الإسرائيلي في الأمة، الذي شكل وعياً قومياً موحداً لدى شعرائنا الذين أشادوا بالقضية، واستخدموا القدس كرمز وقناع من أجل استنهاض الشعوب، والدفاع عن الشرف المسلوب، فإن الشاعر اختار من الشخصيات التاريخية ما يوافق طبيعة الأفكار والقضايا والمهموم التي يريد نقلها إلى المتلقي.

ولقد عرف الشعر الجزائري توظيف الرموز التاريخية والتي تضم الرموز الدينية والتراثية والسير الشعبية، وأسماء الشخصيات التي كان لها أثر بارز في تاريخ الإنسانية، والأماكن التي اقترنت بأحداث عظيمة في التاريخ.

فالشاعر مفدي زكرياء "استحضر أحداثاً وشخصيات تاريخية مهمة والتي تركت بصمتها في الوجدان العربي، كونها تمثل أبعاداً ثقافية وفكرية في وجدان الأمة العربية فيسقط بذلك الماضي على الحاضر لإثراء دلالة النص الشعري، والإلياذة أحسن سجل تاريخي في تاريخ الجزائر حتى اليوم، أي أحسن كتاب فيه وعنه، وحتى إذا ما كتب هذا التاريخ يوماً ما بصفة كاملة شاملة، فستبقى إلياذة الجزائر أروع تاريخ للجزائر وأكثره وقعاً في النفوس وأسهله على الحفظ والتذكر والاستشهاد في معرض الاحتجاج"².

¹ - صحيح مسلم، ترقيم وترتيب: محمد فؤاد عبد الباقي، المرجع السابق نفسه، ص 641.

² - الديوان: مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، المرجع السابق نفسه، صص 12-13.

ولقد ذكر لنا الشاعر الجانب التاريخي القديم ليقدم وجهه الحضاري العريق، فغاص في أعماق التاريخ، متابعاً مختلف الدول وشتى الحضارات التي قامت على أرض الجزائر والشخصيات التي كان له يد في بناء صرحها، فذكر الأمازيغ ومدنهم والحروب التي قاموا بها ضد الرومان الغازين، وما خلدوه من مآثر وخصال، لقوله:¹

أشرشال هل تذكرت يوبا *** ومن لقبوا عرشك القيصر يا

ومن مصروك فنافستي روما *** وشرفت أقطارنا المغربية

لماذا يلقب يوبا بثان *** أما حقق سبق في المدينة

ذكر مفدي زكرياء شخصية تاريخية يوبا الثاني، فلقد كان ملكاً على شمال أفريقيا وكان موسوعة في التاريخ والجغرافيا والفنون، واتخذ يوبا شرشال عاصمة للمملكة النوميدية، وكذلك قوله:²

وكم ضارعت في الفدا كليوبترا *** جميلات ثورتنا الهادرة³

وفي هذا البيت ذكر كليوبترا ملكة مصر وكانت ملكة موهوبة، فقد تحدثت بعدة لغات وقادت الجيوش في سن الواحد والعشرون، وأشاد مفدي زكرياء في هذا البيت بالدور الرائد للنساء الجزائريات في الثورة، مقيماً تناسقاً بين كليوبترا وبين النسوة مثيلات جميلة بوحيرد. ثم وقف الشاعر طويلاً عند الفتح الإسلامي فشاد بالبطل "عقبة بن نافع" وصوامعه وجوامعه فقال:

ومرحى لعقبة في أرضنا *** ينير الحجي ويشيع اليقينا

ويعلي الصوامع في القيروا *** ن ويرفعها للدفاع حصونا

¹ - الديوان: مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، المرجع السابق نفسه، ص41.

² - المرجع نفسه، ص46.

³ - المرجع نفسه، ص43.

تحدث مفدي زكرياء في هذا البيت عن عقبة بصفته رمزاً للشجاعة والبسالة، وشارك في عدة فتوحات واستطاع وجنوده أن يقضوا على الحاميات الرومية المختلفة في مناطق الشمال الإفريقي وبنى مدينته المشهورة القيروان التي ذكرها الشاعر وبنى بها جامعاً يعرف بجامع عقبة.

وفي بيت آخر يقول الشاعر:¹

وهذا أبولوس كان طبيباً *** يدين له العلم بالعقربة
وأبدع في قصصه الحيوا *** ن فآثر في القصص الأموية
وكان الأفارقة في متنداهم *** بروما يخصونه بالتحية
وكان أبولوس قاضي روما *** ليمناه ترفع كل قضية

فالشاعر ذكر هنا شخصية من تاريخ الجزائر القديم "أبولوس" الذي تخرج من جامعة قرطاجنة في الحقوق والآداب، الطب، ودرس الحقوق وامتاز بمخبر للتجارب والتركيب والتشريح، تقدم علم به لعلم الطب لتحليل الأدوية ومعرفة العلل، وأسرار النباتات الغذائية والاستشفائية، كان شاعراً باللاتينية وخطيباً مصقلاً وراويّة ممتازاً فاستحضر الشاعر هذه الشخصية التاريخية فهي بمثابة نماذج وعينات تخفي وراءها بطولات كان زادهما الصمود والشجاعة، كان ذلك للاعتبار والتأسي، ولربط الماضي بالحاضر لأنّ التاريخ سلسلة متصلة الحلقات لا يمكن لها الانفصال فلا حاضر لأمة دون ارتباطها بماضيها.

قال أيضاً:²

هال ابن رستم ألا نسود *** ونبي كياناً لنا مستقلاً
فقام بتيهرت يعلي اللواء *** ويرسي نظاماً وينشر فضلاً

¹ - الديوان: إلياذة الجزائر، مفدي زكرياء، المرجع السابق نفسه، ص41.

² - المرجع نفسه، ص44.

تولى عبد الرحمن بن رستم حكم الجزائر فاستقل بحكمها، وأسس بالعاصمة تيهـرت نظاماً شاملاً للحكم الأمازيغي، وكانت تيهـرت يومها تظاهي قرطبة وبغداد ودمشق في نموها وجمالها.

ويقول مفدي زكرياء في بيت آخر:¹

وإن تسألوا عني بني الأغلب *** سلوا الزاب عن جاره الأقرب

ويقول أيضاً:²

وطابنة هل تذكرين بني الحسين *** التميمي وتاريخه القرطبي

عرفت منطقة الزاب بكثرة شعرائها وأدبائها، ذكر منهم مفدي زكرياء أبا مضر محمد بن الحسين بن محمد بن أسد بن محمد بن إبراهيم بن زياد، ساكن قرطبة وكان من أهل العلم بالآداب واللغات والأشعار، والشاعر نسبة إلى طبنة "بريكة" عاصمة الزاد الزاب الجزائري.

ويقول أيضاً:³

وفي قدس جنتنا الناظرة *** وجوه إلى ربها ناظرة

تمد المعزين لدين الإله *** فيضيع جوهر والقاهرة

يشير مفدي زكرياء إلى جوهر الصقلي، أبي الحسن جوهر بن عبد الله، ولد بصقلية، يعد من أشهر القادة العسكريين في العهد الفاطمي، أسس القاهرة وشيد الجامع الأزهر، وتنسب له الفتوحات في المشرق والمغرب.

ويقول مفدي زكرياء أيضاً:⁴

¹ - الديوان: إلياذة الجزائر، مفدي زكرياء، المرجع السابق نفسه، ص45.

² - المرجع نفسه، ص45.

³ - المرجع نفسه، ص46.

⁴ - المرجع نفسه، ص52.

وللدين خير يصون حمّاه *** وأسطولنا في البحار يسود

قراصنة البحر عاثوا فساداً *** فأدب الليث البحار القرود

وخاض الأمازيغ ساح الفدا *** تباركهم صلوات الجودود

وآزرنا الترك حتى انتصرنا ولم يخفر الترك ماضي العهود

بعدما تم الغزو الإسباني على مدينة الجزائر استجد سالم بن التومي بالسلطة التركية، فبلى نداءه الإخوان عروج وخير الدين، واستعان بالأسطول البحري، مني على إثرها الإسبان بالخسارة بـ: اثنا عشر ألفاً من الجند.

ولقد ذكر الشاعر الأسطول البحري والدولة العثمانية ودفاعها عن الدولة الجزائرية، كما استحضر الشاعر أحداثاً تاريخية عاشتها الثورة أثبتت صلابة عودها، حيث يقول:¹

تبارك واديك الصمام أنا *** حفظنا عهودك أيان ثرانا

أصمام باسمك صم الشعب *** سياسة ثورته فانطلقنا

ذكر مفدي زكرياء وادي الصمام هذا المكان التاريخي الذي عقد فيه المؤتمر في قرية إيفري والخروج بنتائج لطرد الاستعمار واسترجاع الحرية.

ويقول أيضاً:²

وتسمو بأوراس أمجاد *** فتصدع في الكون هذا الوري

لجأ الشاعر للأوراس لأنها رمز الثورة الجزائرية وهي منطلق الثورة التحريرية، والجدير بالذكر أنّ الأوراس لن تكون فقط رمز يستخدمه الشعراء، إنّما الأوراس الجزائرية موجودة في الشعر العربي عامة، كتب عنها نزار قباني، محمود درويش، سليمان عيسى.. إلخ. فمجّدوها ومجدوا أبطالها الشجعان، فهي مثال للثورة العربي التي توجت بالاستقلال.

¹ - الديوان: إلياذة الجزائر، مفدي زكرياء، المرجع السابق نفسه، ص 69.

² - المرجع نفسه، ص 24.

فتحدث عن حوادث 20 أوت 1955 في قوله:¹

أغسطس عشرون لم ينسها *** ويذكرها ألف ألف شهيدا

وخمسة وخمسون في الذكريات *** جلال يهدد صدر الوجود

فلقد حصد فيها الاستعمار آلافاً من الجزائريين التي كانت كرد فعل من السلطات الفرنسية على هجومات الشمال القسنطيني، إذ شنت حملة توقيف وقمع واسعة استهدفت الآلاف من المدنيين الجزائريين، وقصفت القرى جواً وبحراً. وارتكبت قوات الاحتلال مجزرة كبيرة في ملعب فيليب فيل (ملعب 20 أوت) حالياً سكيكدة حيث أعدمت العديد منهم من الرجال والنساء والأطفال والشيوخ مما سبب خسائر مادية وبشرية.

يقول مفدي زكريا:²

غزا لاموريسير أحمد باشا *** فقمنا بسيرتا نصون الحمى

ذكر الشخصية التاريخية الجزائرية أحمد باي الذي نشط المقاومة وقد استخدم استراتيجية مهمة ومحكمة مكتبته من تنظيم المقاومة ضدّ الفرنسيين فأمر ببناء الخنادق والثكنات وأمر بتجنيد الرجال للمقاومة.

وذكر مفدي زكريا أيضاً:³

أيا عبد قادر كنت القديرا *** وكان النضال طويلا عسيرا

ذكر شخصية الأمير عبد القادر الذي قاوم ببسالة طوال ثماني عشرة سنة، فهو رمز للمقاومة والشجاعة والأخلاق حقّق عدة نجاحات أرغمت دي ميشال على عقد اتفاق هدنة

¹ - الديوان: إلياذة الجزائر، مفدي زكرياء، المرجع السابق نفسه، ص75.

² - المرجع نفسه، ص52.

³ - المرجع نفسه، ص53.

معه ساهم بالكثير لإخراج الاستعمار الفرنسي من الأراضي الجزائرية إلا أنه نفى بدمشق وأكمل بقية حياته هناك. ويقول أيضاً:¹

وتذكر ثورتنا العارمة *** بطولات سيدتي فاطمة

يفجر بركانها جرجرا *** فترجف باريس والعاصمة

وقال أيضاً:²

نوفمبر غيرت مجرى الحياة *** وكنت نوفمبر مطلع فجر

وذكرتنا في الجزائر بدرا *** فقمنا نضاهي صاحبة بدر

وقال أيضاً:³

نوفمبر جلّ جلالك فينا *** أأست الذي بث فينا اليقين؟

سبحنا على لجج من دمانا *** وللنصر رحنا نسوق السفينا

وثرنا نفجر نارا ونورا *** ونصنع من صلبنا الثائرينا

ذكر الشاعر لنا شهر التحرر الذي تغنى به في قصيدته نوفمبر الذي انتفض فيه الشعب الجزائري بالرغم من استعمال فرنسا شتى الطرق في قمعها للثورة الجزائرية، إلا أن الثورة ظلت صامدة وأيقن الشعب أن ما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة، كما اعتبر شهر نوفمبر شهر فرج وارتياح واستقلال ونوفمبر لا يختلف معناه عن معنى الأوراس في رمزيتها، فأول يوم من هذا الشهر الفضيل عند الجزائريين هو يوم اندلاع الثورة المجيدة، وهو اليوم الذي انتظره الجزائريون بفارغ الصبر طوال قرابة قرن ونصف القرن من الزمن للتخلص من البطش الاستعماري.

¹ - الديوان: إلياذة الجزائر، مفدي زكرياء، المرجع السابق نفسه، ص55.

² - المرجع نفسه، ص69.

³ - المرجع نفسه، ص70.

إلياذة الجزائر ملحمة ليست كالملاحمات 'ليست كأساطير هوميروس ومن نحى نحوه بل ديوان شعر، بل ألبوم أمة يحتفظ بصور التاريخ للأجيال، وذكر القيم التاريخية فهي بيان لمختلف المحطات التاريخية التي شيدتها بطولات الشعب الجزائري، أما القيم الوطنية فهي تركيبة الشخصية الجزائرية من إسلامها وأمازيغيتها وعروبتها.

ويقول أيضاً:¹

سل ابن علناس عن ذكرنا *** وقلة حماد عن مجـدنا

يجيبك ابن حمديس في الخالد *** ين، ويصنع قوافيه من وحيننا

وتنبئك عائشة كيف كانت *** ترق وتقسو على بعضنا

وذكر الشاعر أيضاً العديد من الشخصيات المشهورة المرتبطة بأعمالها الخالدة كأعمال: ابن هانئ الجزائري، عبد الجبار بن حميدس، عائشة العمارية، وقد ركز الشاعر في ذكر عائشة العمارية وهي من أشهر الشاعرات النساء في دولة بني حماد وهي رمز للمرأة القيادية والتي لم يهتم الشاعر لجمالها ولا مفاتها، بقدر ما استهواه شعرها وفنها وقدرتها على فرض إرادتها وإقناع الآخرين برأيها.

وكذلك ذكر الشاعر حدث تاريخي فقال:²

ومروحة الداوي لم تك *** إلا كما يستبيح اللصوص الحراما

وتعيش الجزائر بعد هذا التاريخ المشؤوم لحظات الشقاء والتعاسة 'غمامة سوداء، وليل دامس وسياسة لا ترحم لتعيش الجزائر فترة الاستعمار.

وقال أيضاً:³

وجددت حطين في موطني *** وخلدت أمجاد أنطاكيه

¹ - الديوان: إلياذة الجزائر، مفدي زكرياء، المرجع السابق نفسه، ص49.

² - المرجع نفسه، ص53.

³ - المرجع نفسه، ص85.

وجل الفدا بالملاين شر *** فت'الخلد، فرفرف العالية

فلقد أشار الشاعر هنا إلى المكان التاريخي ومقبرة الشهداء العالية وهي في ضواحي العاصمة والتي يدفن فيها الشهداء والعظماء فهي مكان تاريخي يشمل الثوار والمجاهدين.

أيضا استحضر شخصية لالة فاطمة نسومر التي قادت الثورة في جبال جرجرة فهي رمز للمرأة الجزائرية القوية الذكية القائدة، اتصلت بالزعيم الجزائري المقاوم بوبغلة طلبا في الدفاع عن منطقة جرجرة فشاركها معا في معارك عديدة ولقد حققت انتصارات عديدة وضحت بكل ما لديها من أجل حرية بلادها. ويقول أيضاً:¹

وصوت ابن الحداد دوى دويا *** ينادي البدار ويدعو للقتالا

ومن آل مقران في الشاهقات *** نسور بواشق تھوى التزالا

المقراني والشيخ أمزيان الحداد شخصيتان تاريخيتان ذكرهما مفدي زكرياء، ولقد هاجم المقراني القوات الفرنسية المعتصمة ببرج بوعريريج، واشترك المقراني والشيخ الحداد في معركة جبل تغرطاست، وتم اعتقال الشيخ الحداد من طرف القوات الفرنسية. ويضيف أيضاً:²

سلوا ساحة الشهداء أما *** بها قـرار البدو المآل

وداوى بشرشال صوت النفير *** وإن كان يبدو بعيد المنال

ذكر الشاعر هنا مكان تاريخي قديم (ساحة الشهداء) التي كانت تسمى في وقت الاستعمار ساحة الحكومة، إلا أن الجزائريين كانوا يكتفون آنذاك بنعتها باسم ساحة العود، أو ساحة الحصان، ثم ذكر مفدي زكرياء قيام ثورة نوفمبر 1954 وفق القواعد المنصوص عليها في بيان أول نوفمبر.

¹ - الديوان: إلياذة الجزائر، مفدي زكرياء، المرجع السابق نفسه، ص58.

² - المرجع نفسه، ص60.

4- الرمز الطبيعي:

يستعمله الشعراء بكثرة، وهو مستمد من الطبيعة وظواهرها، يستعمله خاصة شعراء المذهب الرومانسي، كما يلجأ إليه الغزليون في وصف مجرباتهم، فنجدهم يشبهونها بالقمر أو الشمس لحسن جمالها ونور وجهها الذي يضيء لياليتهم المظلمة، لكن شاعرنا مفدي زكرياء لم يتغزل بالمرأة بل مال أكثر إلى القضية الوطنية، فحبه لوطنه جعل محبوبته هذه التي يتغزل بها هي وطنه الجزائر.

فالجزائر وطن الطبيعة الخلابة وجمالها الأخاذ، والشمس المشرقة، والمنابع المتفجرة، ومعانقة الحضارتين: الصحراء بملاحمها العربية العريقة، والسواحل بحضارتها الأوروبية الحديثة، وعروس للإلهام، وخير دليل على ذلك الاستهلال الذي يبدأ به الشاعر في الإلياذة برحابة الكون وجمال الطبيعة وميلاد المعجزة، فيقول:¹

جزائر يا مطلع المعجزات *** ويا حجة الله في الكائنات

ويا بسمة الرب في أرضه *** ويا وجهه الضاحك القسما

ويا لوحة في سجل الخلود *** تموج بها الصور الحالمات

فلقد ربط الشاعر بين جمال الجزائر وبين الإيمان، ففي وجه الجزائر الجميل تتجلى قوة الصانع القدير، وذكر في هذا البيت بعض مصطلحات الطبيعة.

ويقول أيضاً:²

جزائر يا لحكاية جبي *** ويا من حملت السلامة لقلبي

ويا من سكبت الجمال بروحي *** ويا من أشعت الضياء بدربي

¹ - الديوان: إلياذة الجزائر، مفدي زكرياء، المرجع السابق نفسه، ص19.

² - المرجع نفسه، ص21.

قد شبه الشاعر الجزائر على أنها شمس تضيء الدرب، متغزلاً بأرضها الخصبة ذات الخيرات والثمار، فكان سبباً في جلب الغزاة إليها لسحرها الفاتن، ثم يعود مرة أخرى إلى تمجيد الجزائر وإبراز مظاهر الجمال فيها، فيقول:¹

جزائر أنت عروس الدنيا *** ومنك استمد الصبح السنا

وأنت الجنان الذي وعدوا *** وإن شغلونا بطيب المنا

وأنت الحنان وأنت السما *** ح، وأنت الطماح، وأنت الهنا

وأنت السمو وأنت الضمي *** ر، الصريح الذي لم يخن عهدنا

في هذه الأبيات من القصيدة ذكر لنا الشاعر الصباح، الجنان، بدورهما يرمزان إلى الاستقرار والأمن والأمان، ويصفها بالعروس من شدة جمالها الأخاذ.

حيث يقول:²

سَلِ الْبَحْرَ وَالزُّورَقَ الْمُسْتَهَامَ *** كَأَنَّ مَجَازِفَهُ قُلُوبَ شَاعِرٍ!

تَبَارَكَهُ أُمُّ إِفْرِيقِيَا *** عَلَى صَلَوَاتِ الْعَذَارَى السَّوَاخِرِ

يشير البحر في الغالب صورة توحى بالقوة والعظمة والغموض، وهو من العناصر الطبيعية التي وردت بكثرة في الكتابات الإبداعية المعاصرة، لكن استعمل في هذا البيت رمز البحر فقد كان يصف جمال الجزائر.

ويقول أيضاً:³

وَيَحْتَارُ بُلْكُورٌ فِي أَمْرَهَا *** فَتَضْحَكُ مِنْهُ الْعُيُونُ الْفَوَاتِرِ

وَفِي الْقَصْبَةِ امْتَدَّ لَيْلُ السَّهَارَى *** وَنَهْرُ الْمَجَرَّةِ نَشْوَانُ سَاهِرٍ

¹ - الديوان: إلياذة الجزائر، مفدي زكرياء، المرجع السابق نفسه، ص20.

² - المرجع نفسه، ص23.

³ - المرجع نفسه، ص23.

وفي سَاحَةِ الشَّهْدَاءِ تَعَالَى *** مَا ذَنْ تَجْلُو عِيُونَ البَصَائِرِ

وفي هذه الأبيات يذكر مناطق مدينة الجزائر منها القصبة وساحة الشهداء، فيصف الليل في القصبة أنه يطول بها على الساهر فيها، ونهر المجرى نشوان له، ويسترسل مفدي زكرياء في وصف وإشادة ربوع وطنه بمفاتيح بلاده بقلب الجزائر العاصمة وأحيائها، وينتقل إلى أعظم سلسلة جبلية في الجزائر والتي تمتد على طول المغرب العربي وهو الأطلس العميق، والذي يرسم من خلاله الشاعر أيضاً ما يدل على أرض الجزائر بحدودها وتفاصيلها، ويقول:¹

سَلِ الْأَطْلَسَ الْفَرْدَ عَنْ جُرْجُرَا *** تَعَالَى يَشْدُ السَّمَاءَ بِالْثَرَى!

فالشاعر يمدح بلاده وخيراتها وما تمتلكه من سلاسل جبلية عظيمة كجبال جرجرة بشموخها، وهي من أجمل المناطق في الجزائر.

ويقول أيضاً:²

وَبُورْكُ يُولِيوزُ فِي حَالَتِيهِ *** فَمَا الْفَجْرُ إِلَّا وَلِيدُ الظَّلَامِ!

فكلمة الفجر في الإلياذة أصبحت رمزا للاستقلال الذي جاءنا بعد الاستعمار من خلال كلمة يوليوز أي شهر جويلية الذي يوافق اليوم الخامس ليوم الاستقلال، فالفجر ضوء الصباح الذي شبهه بالاستقلال الذي جاء وليد الظلام (أي الاستعمار).

ويقول أيضاً:³

تَبَادُلْنَا الشَّمْسُ إِشْعَاعَهَا *** وَيُلْهَمُنَا الصَّفْوَ نَوْرَ الْهَلَالِ

استخدم الشاعر هنا رمز الشمس وهي ترمز للمستقبل المشرق، فيرجو الشاعر للجزائر والجزائريين إمكانية التحرر من الاستعمار ولو من باب الأمل.

¹ - الديوان: إلياذة الجزائر، مفدي زكرياء، المرجع السابق نفسه، ص24.

² - المرجع نفسه، ص38.

³ - المرجع نفسه، ص53.

وفي موضوع آخر من الإلياذة يقول مفدي زكرياء:¹

غرايبُ سُودٌ، تُجيدُ النَّعيقَ *** وتختالُ في مشيها كالزَّرَافَهْ

فالشاعر هنا ذكر الغراب الذي يوحى بالظلام والسواد، فهو رمز للتشاؤم والخراب عند العرب، وقد شبه الاستعمار الذي طال الأرض غصباً بالغرايب السود -أي شديدة السواد-.

ويقول أيضاً:²

يتيه به النجمُ بين النجوم *** دلّالاً، فيُطْلَعُ في الليل صُبحاً

وفي هذا البيت ذكر الشاعر لنا النجم، وإنّه من كثرة النجوم كأنّ السماء أضاءت وأصبح الليل صباحاً، فالشاعر هنا كان يصف لنا غابة باينام، فجاءت النجوم رمزاً للحياة وبذلك تبقى النجوم ذلك المنهج الذي يرسم حياته بالأفول.

ويقول أيضاً:³

عَرَجْنَا، نُنَافِحُ بَايْنَامَ ضَحًا *** كَأَنَّا اغْتَصَبْنَا لِهَامَانَ صَرَحًا

نسائلُ أشجاره الفارعات *** حديثَ النجوم، فُتْبِدُعُ شَرَحًا

فالشاعر هنا شبه غابة باينام بأنها صرح (أي قلعة) وهي أجمل مناخ جبلي في صدر العاصمة الجزائرية يوحى بالعظمة والشموخ، وشبه كذلك بأن الأشجار والنجوم تتحدث وتشرح عند سؤالها.

ويقول في موضع آخر:⁴

كَأَنَّ الْمَضَائِقَ فِيهَا خَلِيجٌ *** تَمُورُ بِهِ السُّفُنُ الْخَائِضَةُ

وَيَلْتَفُ جَارٌ بِجَارٍ، كَمَا *** تَعَانَفَتِ الْمَهْجُ النَّابِضَةُ

¹ - الديوان: إلياذة الجزائر، مفدي زكرياء، المرجع السابق نفسه، ص53.

² - المرجع نفسه، ص9.

³ - المرجع نفسه، ص26.

⁴ - المرجع نفسه، ص27.

فالشاعر وظف هنا خليج، بحار، المهج، لكن ليس كباقي الشعراء الذين يوظفونه على أنه رمز للوطن والبعض الآخر يوظفه كرمز للثورة، إلا أن شاعرنا كان يصف لنا القصة كأنه يوجد بها خليج تمر به السفن، ويلتف عبرها البحار التي تعانقت كالمهج النابضة، فالشاعر يستخدم الرموز الطبيعية لوصف بلاده في أجمل صورة.

ويقول أيضاً: ¹

كَأَنَّ حَدَائِقَهُ الْعَابِقَاتِ نَوَافِجٌ *** مَسْكٌ تَضُوعِنِ عَرَفَا
وَفِي رَحْبٍ تِلْغَمَتْ تَاهَ الْغَزَالِ *** عَلَى الشَّمْسِ يَخْتَالُ لَطْفًا وَظَرْفَا
وَيَحْفَظُ مِيزَابُ لَوْحِ الْجَلَالِ *** فَيَصْبِحُ مِيزَابُ فِي اللُّوحِ حَرْفَ

وصف الشاعر في هذه الأبيات جمال بعض المناطق القديمة في الجزائر، فشبه حدائق البخاري على أنها مباحر تفوح بالمسك ووصف تيلغمت بشساعة وفي رحبها يتيه الغزال وكأنه يختال على شمسها، فلقد استخدم كل معاني الطبيعة لتوصيل جمال الجزائر باختلاف مناطقها وأجناسها، وعلى ما تحتويه من خيرات.

ويقول أيضاً: ²

أَلَا ... مَا لِهَذَا الْحَسَابِ ... وَمَا لِي؟ وَصَحْرَاؤُنَا ... نَبْعُ هَذَا الْجَمَالِ
هُنَا مَهْبِطُ الْوَحْيِ لِلْكَائِنَاتِ حِيَالِ النَخِيلِ ... وَبَيْنَ الرَّمَالِ
وَمَهْدُ الرِّسَالَاتِ لِلْعَالَمِينَ وَنُورُ الْهُدَى، وَمَصَبُّ الْكَمَالِ
هُنَا الْعَبَقْرِيَّاتُ وَالْمُعْجَزَاتُ وَصَرْحُ الشَّمُوحِ، وَعَرْشُ الْجَلَالِ
تُبَادَلْنَا الشَّمْسُ إِشْعَاعَهَا وَيُلْهِمُنَا الصَّفْوُ نُورَ الْهَلَالِ
وَنَعْدُو فَنَسْبِقُ أَحْلَامَنَا وَنَهْزُؤُ مِنْ وَثْبَاتِ الْغَزَالِ

¹ - الديوان: إلياذة الجزائر، مفدي زكرياء، المرجع السابق نفسه، ص34.

² - المرجع نفسه، ص36.

وجنبنا الغدر... ماء الغدير وحذرنا الظل نهج الضلال

فالشاعر يحيل ناظره في طبيعة الجزائر وصحرائها الممتدة الفسيحة، ويخلق في أجوائها مادحاً ومتغزلاً بها، كما ساتعان بالنخيل، الرمال، الشمس، الهلالن ماء الغدير، ووصف رمالها الناعمة ومساحتها الشاسعة وحيواناتها ونباتاتها التي تأقلمت مع شمسها الصفراء، وتمثل النخلة عند الشاعر العطاء المستمر لأن صحراء الجزائر مشتهرة بزراعة النخيل، وهي رمز للإسرار على الحياة والشموخ والتصدي، وهي مفخرة لفصائرها الفسيح في كل ربوع الجزائر، لذلك مدت الظل، على كل الآفاق فكانت مرتعاً للطير والبشر بثمارها الطازجة، وتبقى مصدر النعمة والبركة على البشر، فالشاعر هنا مفتخر بجمالها فتعبر وعاء لحفظ تاريخ أجدادنا، عندما تزورها تستقبلك أشجار النخيل والرمل كأنها بساط ذهبي.

ويقول أيضاً:¹

ويا لعنات السماء، انزلي صواعق، فوق الظلوم الحقود

ويا زهرة، زرعتها دمانا وفتحناها بالصباح الجديد

فالشاعر مفدي زكرياء نادى السماء حتى تنزل لعنائها طالباً منها أن تنزل الصواعق على العدو الفرنسي، وذكر الزهرة التي سقيت بدماء الجزائريين أن تزهر وتفتح وذلك دليل على أن الشاعر قصد بالزهرة أنها بعد هذا الاستعمار والدمار سوف تنفس الحرية وتزهر الورود، وتتجلى رمزية الطبيعة من خلال ذكر الشاعر لكلمة الزهرة، التي هي من أجمل الصور في الطبيعة فهي توحى بالجمال والرقّة والرائحة الزكية التي تطلقها، فالشاعر اتخذ من الزهرة رمزاً للتفاؤل والأمل الذي يصير إليه المستقبل.

ويقول كذلك:²

ويا تربة أغرقت في الدماء *** هواتك حرمة أرحامها

¹ - الديوان: إلياذة الجزائر، مفدي زكرياء، المرجع السابق نفسه، ص 67.

² - المرجع نفسه، ص 34.

ويا بلدة عصفت باللائم *** وحمق فرنسا وحكامها

ترمز التربة إلى أصل الشاعر وروحه المتوثبة الحاملة بالانتصار نحو حياة أفضل، وفي هذه الأبيات يشير مفدي زكرياء إلى الطبيعة الجزائرية بدقة، فلقد شبه أن تربة الجزائر كأنها سقيت بالدماء بدل الماء، وذلك لتقديم الشعب للغالي والرخيس في سبيل حريته. ويضيف الشاعر مفدي زكرياء في قوله:¹

وفجر أصلابنا في حماها *** براكين تنصبُّ حقداً ونارا

فالشاعر ذكر هنا الظاهرة الطبيعية المتمثلة في البراكين وهي أكثر ما في الطبيعة إثارة للرهبة إلا أنه شبهها بالجالية الجزائرية المتواجدة بفرنسا وقت الثورة، والتي قامت بدور فعال أثناء الكفاح التحرري المسلح، فقد ثاروا مثل البراكين وقاموا بدور بطولي بنقل الحرب من إلى فرنسا، بشكل تخريب مؤسسات استراتيجية، واغتيال الخونة الجزائريين وجعل الشاعر ما هو طبيعي مماثل للمقاومين الجزائريين داخل الجزائر وخارجها.

ويقول في بيت آخر:²

تماوج في فاس رجع الصدى *** من القرويين يغزو المدى

يساجل زيتونة للسلام *** مباركة فتلبّي النداء

وقد استخدم الشاعر مفدي زكرياء رمز الزيتون الذي يعبر عن السلام والحياة والخصوبة فهي رمز للأرض المغتصبة واخضرارها الدائم رمز للحياة، والمقاومة المستمرة في الأرض المغتصبة، وفي هذين البيتين قصد الشاعر المغرب العربي ووحدة المسلمين.

¹ - الديوان: إلياذة الجزائر، مفدي زكرياء، المرجع السابق نفسه، ص41.

² - المرجع نفسه، ص92.

خاتمة

يتضح مما سبق أنّ الرمز هو من أهم الظواهر الفنية ووسيلة من وسائل التعبير، يتخذ أشكالاً مختلفة، هناك الرمز الديني، وهناك الرمز التاريخي والأسطوري والتراثي. ولقد اهتم الشعراء بتوظيفه في شعرهم وذلك لاحتوائه على جماليات تمثلت في:

- الإيحاء الدلالي.

- اتجاهه نحو الرؤية وما تمنحه من قدرة على التعبير.

- الإيحاء اللفظي.

وكذلك يلجأ الشاعر إلى الرمز للتعبير بشكل غير مباشر على النواحي النفسية المستترة التي لا تقوى اللغة على أدائها، أو لا يراد التعبير عنها مباشرة.

وشاعرنا مفدي زكرياء من أبرز الشعراء الذين لجؤوا لاستعمال الرمز، ولا شك أنّ هذه الرموز التي وظفها في شعره ترتبط بالتجربة الشعرية، وتتصل بمذهبه الفني ورؤيته الفلسفية، وتؤكد فوق هذا كله رسوخ الخلفية الدينية التي يوظفها في شعره. ووجدنا ذلك في العديد من قصائده من بينها الإلياذة التي تناولناها في بحثنا، ولقد استعمل هنا الرمز بمختلف أنواعه، فأخذ من الديانات السماوية رموزه ليعبر بها، كما نهل من الأساطير العربية والجزائرية ووجدناه يميل أكثر إلى الرمز التاريخي الوطني، فلقد تكرر ذكر رمز الأوراس ونوفمبر ومايو، هذا للأثر البالغ الذي حققته هذه الرموز في نفوس الجزائريين.

كما قام الشاعر باستحضار الرموز المملوءة بدلالات العزة والكرامة من أجل إيقاظ الروح الوطنية في نفوس الجزائريين لإعادة إحياء البلاد من جديد، فالقضية الوطنية أخذت القسط الأوفر في كتابات الشاعر لأنّه عاش وعاش أحداث الثورة النوفمبرية.

ختاماً نتمنى أن تكون هذه الدراسة حققت أهدافها المرجوة، وأجابت عن إشكالياتها المطروحة، ونرجو أن نكون قد وفقنا ولو بدرجة قليلة في الإلمام بجميع جوانب هذا الموضوع.

قائمة

المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

2- قائمة المصادر:

- 1- ابن الأثير، المثل السائر، ج4، تح: أحمد الصوفي، دار النهضة، مصر، القاهرة، د.ط.
- 2- ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، تح: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط2، 1999، ج2.
- 3- أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تهذيب اللغة، مادة رمز، تح: أحمد عبد الحليم البردوني.
- 4- الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170 هـ)، كتاب العين، ج2، تح: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2003.
- 5- جلال الدين أبو عبد الله القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ط1، 1998.
- 6- جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار الصادر، بيروت، لبنان، ط3، 1997.
- 7- زكي الدين عبد العظيم المنذري، مختصر صحيح مسلم، ط.م، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1422 هـ، 2001 م.
- 8- صحيح مسلم، ترقيم وترتيب: محمد فؤاد عبد الباقي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ج1، ط1، 1999.
- 9- مالك شبل، معجم الرموز الإسلامية، دار الجليل، بيروت، لبنان، د.ط، 2002.

3- المراجع:

- 1- إبراهيم رماني، أوراق في النقد الأدبي، دار الشهاب، باتنة، ط1 1985، ص167.
- 2- أحمد ديب شعبو، في نقد الفكر الأسطوري الرمز، أساطير ورموز وفولكلور في الفكر اللساني، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1، 2006.
- 3- أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 2011.

- 4- أدونيس علي أحمد سعيد، مقدمة في الشعر العربي، دار العودة، بيروت، لبنان، ط3، 1971.
- 5- التطاوي عبد الله، المعارضات الشعرية، أنماط وتحليلات، دار قباء، القاهرة، 1998.
- 6- إيليا الحاوي، الرمزية والسريالية في الشعر الغربي والعربي، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1983.
- 7- إيليا الحاوي، في النقد والأدب، ج5، الكاتب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1980.
- 8- إيمان محمد أمين خضر الكيلاني، بدر شاكر السياب، دراسة أسلوبية لشعره، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008.
- 9- بوعيشة بوعمار، الشاعر العربي المعاصر ومثاقفة التراث، مجلة كلية الآداب واللغات والفنون، منشورات جامعة بسكرة، 2018.
- 10- بولس طوق، صلوات إلى أرفيوس، دار نوبليس، بيروت، لبنان، ط2، 2000.
- 11- تشارلز تشادويك، الرمزية، ترجمة: نسيم إبراهيم يوسف، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1991.
- 12- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1973.
- 13- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار الملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1979، ط2، كانون الثاني، يناير، 1984.
- 14- جدعان فهمي، نظرية التراث ودراسة عربية إسلامية أخرى، ط1، دار الشروق، عمان، 1985.
- 15- جلال عبد الله خلف، الرمز في الشعر العربي المعاصر، مجلة دياي، العدد: 52، 2011.
- 16- درويش الجندي، الرمزية في الأدب العربي الحديث، مكتبة النهضة العربية، ط1، القاهرة، مصر، 1958.
- 17- رجاء عيد، لغة الشعر، قراءة في الشعر العربي المعاصر، نشأة المعارف، مطبعة أطلس، القاهرة، د.ط، 1985.

قائمة المصادر والمراجع

- 18- سعيد بوسقطة، الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، منشورات بونة للبحوث والدراسات، ط2، عنابة، الجزائر، 2008.
- 19- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985.
- 20- صبحي البستاني، الصورة الشعرية الفنية، الأصول والفروع، دار الفكر اللساني للكتاب، لبنان، ط1986.
- 21- صلاح عبد الصبور، حياتي في الشعر، دار العودة بيروت، ط1، ج3، 1977.
- 22- عاطف جودة ناصر، الرمز الشعري عند الصوفية، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1983، ط3.
- 23- عبد الحميد بوزوينة، نظرية الأدب في ضوء الإسلام، القسم الثالث، الأدب والمذاهب الأدبية، دار البشير، عمان، ط1، 1990، م.
- 24- عبد الحميد هيمة، البنيات الأسلوبية في الشعر الجزائري المعاصر، مطبعة هومة، الجزائر، ط1، 1998.
- 25- عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1972.
- 26- عبد القادر فيدوح، الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، دار صفاء، عمان، ط1، 2010.
- 27- عبد الهادي عبد الرحمان، لغة الترميز، دراسات في الرموز واللغة والأسطورة، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2008.
- 28- عبد الواحد لؤلؤة، مجلة الوحدة، التأصيل والتحديث في الشعر العربي، الرباط، العدد: 82، يوليو 1991.
- 29- عثمان حشلاف، الرمز والدلالة في شعر المغرب العربي المعاصر، منشورات التبيين الجاحظية، الجزائر، د.ط، 2000.
- 30- عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضايا وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1966.

- 31- علي عشيري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2006.
- 32- علي عشيري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ط4، 2002.
- 33- غطاس كرم، الرمزية في الأدب العربي الحديث، رسالة للأستاذية في الجامعة الأمريكية، بيروت، 1947.
- 34- قاسم عبد القاسم، وأحمد إبراهيم الهواري، الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ط، 1979.
- 35- كاميليا عبد الفتاح، القصيدة العربية المعاصرة، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ط1، 2007.
- 36- مجاهد عبد المنعم مجاهد، جماليات الشعر العربي المعاصر، دار الثقافة، القاهرة، د.ط.
- 37- محمد ابن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفري، الجامع الصحيح المختصر، دار ابن كثير اليمامة، بيروت، ج1، ط. 1987.
- 38- محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط3، 2001.
- 39- محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1977.
- 40- محمد فتوح أحمد، واقع القصيدة العربية، دار المعارف، القاهرة، 1983.
- 41- محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1925-1975.
- 42- محمد ناصر، مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة، جمعية التراث، المطبعة العربية، ط2، 1989.
- 43- مسعد بن عيد العطوي، الغموض في الشعر العربي، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط2، 1420 هـ.

- 44- مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 1983..
- 45- مفدي زكرياء، الديوان: إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1987.
- 46- نسيم بوصلاح، تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، منشورات رابطة إبداع الثقافة الوطنية، الجزائر، ط1، 2003.
- 3- الرسائل والمذكرات:**
- 1- الزهرة بن عمر، الرمز في شعر عثمان لوصيف، مذكرة لاستكمال شهادة الماستر، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، 2015-2016، نقلاً عن: تسعديت آيت حمودي، أثر الرمزية الغربية في مسرح توفيق الحكيم، دار الحداثة، لبنان، د.ط، 1986.
- 2- السحدي بركاتي، الرمز التاريخي ودلالاته في شعر عز الدين ميهوبي (نسخة مصورة PDF)، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، مخطوط رسالة ماجستير، 2008-2009.
- 3- آمنة بلعلي، الرمز الديني عند رواد الشعر العربي الحديث، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1998-1999.
- 4- أمينة بلهاشمي، الرمز في الأدب الجزائري الحديث، رمز الكراهية عند بعض الشعراء الجزائريين المحدثين، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، جامعة تلمسان، 2010-2011.
- 5- بن مسعود فادية، الرمز في شعر كمال سقني، ديوان عزف على أوتار الشجا أنموذجاً، مذكرة لاستكمال شهادة الماستر، جامعة بجاية، 2015-2016، نقلاً عن: تسعديت آيت حمودي، أثر الرمزية الغربية في مسرح توفيق الحكيم، نفسه.
- 6- جميل إبراهيم أحمد كلاب، الرمز في القضية الفلسطينية، القيصرية في الأرض المحتلة، 1967-1987، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2004-2005.
- 7- حكيم دهيني، توظيف التراث في شعر نزار قباني، مخطوطة رسالة ماجستير (نسخة مصورة PDF)، جامعة باتنة، 2000-2001.

قائمة المصادر والمراجع

- 8- حليلة واقوش، بنية الخطاب الشعري عند يوسف وغليسي، رسالة ماجستير (نسخة pdf)، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 2012-2013.
- 9- شقراني فتيحة، المعجم الديني في إياذة مفدي زكرياء، مذكرة لاستكمال شهادة ماستر، - ملحقة جامعة مغنية-، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2015-2016، نقلا عن: فاطمة بن حاج طاهر، حفيظة طوير، أبعاد الرمز الديني التاريخي عند مفدي زكرياء، إياذة الجزائر نموذجاً، مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس، جامعة المدية، 2009.

فهرس

الموضوعات

الفهرس

الصفحة	المحتويات
	كلمة شكر
	إهداء
أ-ب	مقدمة عامة
36 - 2	الفصل الأول: ماهية الرمز
3	المبحث الأول: التعريف بمصطلح الرمز لغة واصطلاحاً
	1- المدلول الاشتقاقي للرمز
4	2- ماهية الرمز
4	أ- الرمز لغة
6	أ- الرمز اصطلاحاً
11	المبحث الثاني: نشأة الرمز
11	أ- في الأدب الغربي
13	ب- في الأدب العربي القديم
17	المبحث الثالث: خصائص الرمز وبلاغته
17	1- الغموض
18	2- الموسيقى
19	3- الإيحاء
20	4- تراسل الحواس
21	5- بلاغة الرمز
24	المبحث الرابع: أنواع الرمز
24	1- الرمز الأسطوري
27	2- الرمز الديني

29	3- الرمز التاريخي
31	4- الرمز الطبيعي
33	5- الرمز التراثي
66-38	الفصل الثاني: أبعاد الرمز عند مفدي زكرياء (الإلياذة نموذجاً)
39	1- الرمز الأسطوري
43	2- الرمز الديني
50	3- الرمز التاريخي
60	4- الرمز الطبيعي
68	خاتمة
75-70	قائمة المصادر والمراجع
	فهرس المحتويات